أسلوب القلب في القرآن الكريم
(دراسة نظرية تطبيقية)

إعداد

د. علي بن جريد بن هلال العنزي

الأستاذ المشارك في جامعة الحدود الشمالية

ملخص البحث

عنوان هذه الدراسة: أسلوب القلب في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية.

هدفت الدراسة إلىٰ بيان المراد بأسلوب القلب لدىٰ علماء البلاغة في اللسان العربي، وبيانه أيضـًا عند علماء التفسير والمصنفين في علوم القرآن.

كما هدفت الدراسة إلىٰ جمع الآيات التي قيل فيها قلب، ومن ثم دراسة هذا القول في كل آية، وبيان الراجح في ذلك.

قسمت هذا البحث إلىٰ مبحثين اثنين وخاتمة.

أما المبحث الأول: فكان يدور علىٰ أسلوب القلب في القرآن الكريم والعربية، حقيقته ووجوده، وفيه أربعة مطالب، هي: المطلب الأول: المراد بأسلوب القلب في اللغة العربية.

المطلب الثاني: بيان المراد بمصطلح القلب في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أسلوب القلب في اللغة العربية.

المطلب الرابع: أسلوب القلب في القرآن الكريم.

وأما المبحث الثاني: فكان فيه جمع للآيات التي ذكر فيها القلب، ودراسة للآيات القرآنية في ضوء هذا القول وبيان حجة أربابه الذاهبين إليه، ثم قول من خالف في هذا من علماء التفسير، وبيان الراجح من الأقوال.

ثم الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

الكلمات المفتاحية: أسلوب – القلب – القرآن الكريم.

❊ ❊ ❊

المقدمة

إنَّ الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله؛ فلا مضلَّ له، ومن يُضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد، فإن من مواضيع علوم القرآن الكريم ما هو بحاجة إلىٰ جمع أفرادها وضم أمثلتها في مصنف واحد، علىٰ غرار ما صنع أهل الحديث في الكتابة في أنواع علوم الحديث، وكان للخطيب البغدادي منهم قصب السبق في هذا، فما من نوع من أنواع علوم الحديث إلا وقد كتب فيه مصنفاً علىٰ وجه الاستقلال.

فما أحوجنا لأن ينبري طلبة العلم الجادون إلىٰ تحقيق هذا المطلب الكريم.

وإنَّ من أنواع علوم القرآن الكريم: أسلوب القلب في القرآن الكريم، أو -ما يعبر أحيانا عنه بـ-: المقلوب في القرآن الكريم.

وقد لهج بهذا النوع العلماء في مصنفاتهم وذكروه في دواوينهم، غير أنه مفرق هنا وهناك، لم يجمعه مصنف واحد، ولم ينظمه كتاب مفرد، فهو مذكور في كتب التفسير، ومنقول في أقاويل كبارهم والمقدمين فيهم، ومدون في كتب علوم القرآن، فأحببت جمع هذا النوع، والكتابة فيه، وضم أفراده في بحث مستقل، فكان هذا البحث، وأسميته:" **أسلوب القلب في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية** ".

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- مما يبرز أهمية الموضوع: أنَّ جمعـًا من العلماء ينفي كون القلب أسلوبـًا عربيـًا، وآخرون يذكرونه في كتاب الله، ويمثلون له بآيات من الكتاب العزيز، فبين هذين الرأيين من التفاوت والتباين الشيء العظيم، الأمر الذي يحوج طالب العلم إلىٰ معرفة الصواب في هذه المسألة.
- وأيضـًا: ورود وصف بعض الجمل القرآنية بالقلب والمقلوب عند بعض المفسرين، ثم لا نجد مؤلفـًا يجمع شتاتها، ويؤلف بين متفرقها، فكانت الحاجة

داعية والضرورة ملحة للتدوين في هذا النوع القرآني.

- الإسهام في إثراء المكتبة القرآنية والدراسات التفسيرية.
- يعد هذا البحث -حسب علمي- أول بحث درس هذا النوع علىٰ وجه الجمع والإفراد.

أهداف الموضوع:

- التعريف بالقلب، وهل هو من أساليب العرب في خطابها؟.
- التعرف علىٰ موقف المفسرين من هذا الأسلوب، وهل يثبتونه في كتاب الله تعالىٰ.
- جمع ما قيل فيه من الآيات القرآنية: إنَّه مقلوب.
- تحقيق القول في كل آية، ذكر فيها القلب، وهل هي كذلك، أم لا؟.

خطة البحث:

تكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة: فقد بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه والمنهج المتبع في كتابته.

وأما المبحثان، فالمبحث الأول: أسلوب القلب في القرآن الكريم والعربية، حقيقته ووجوده، وفيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: المراد بأسلوب القلب في اللغة العربية.

المطلب الثاني: بيان المراد بمصطلح القلب في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أسلوب القلب في اللغة العربية.

المطلب الرابع: أسلوب القلب في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الآيات التي ذكر فيها القلب، وفي هذا المبحث جمع ودراسة للآيات القرآنية التي قيل: إنها من قبيل المقلوب.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

اخترت المنهج الاستقرائي في هذا البحث، حيث قمت بتتبع ما قيل عنه: إنه من قبيل المقلوب في القرآن الكريم، ثم النظر في ذلك، ومدىٰ صدق هذه النتيجة، بناء علىٰ قواعد المفسرين المعلومة، مع مراعاة ما يلي:

- كان الترتيب المعتمد للمواضع التي ذكر فيها القلب هو الآيات القرآنية، وقد رتبتها حسب ترتيبها في المصحف الكريم.
- النص علىٰ موطن القلب في الآية الكريمة، وذكر من قال به، وبيان حجته.
- ذكر أقوال المفسرين في الآية وموقفهم من القول بالقلب.
- الترجيح بين الأقوال، مع ذكر علة الترجيح ودليله.
- عزو الأقوال – لاسيما القول بالقلب – إلىٰ أصحابها، وبيان حجتهم.
- خرجت الأحاديث الواردة في البحث.
- خرجت الآثار الواردة في البحث.
- عرفت بالأعلام المذكورين في ثنايا البحث.

والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله منا، ويتجاوز عنا خطأنا وتقصيرنا، وأسأله ﷻ أن ينفع به كاتبه وقارئه إنه سميع قريب.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله محمد، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين.

❋ ❋ ❋

المبحث الأول

أسلوب القلب في القرآن الكريم والعربية، حقيقته ووجوده

المطلب الأول: تعريف القلب في اللغة العربية

يفيد لفظ القلب أحد معنيين اثنين، هما: الأول: قلب الإنسان.

والثاني: رد شيء من جهة إلىٰ جهة.

والذي يناسب ما نحن فيه المعنىٰ الثاني، فالمقلوب من المعاني أو الألفاظ: المردود من جهة إلىٰ جهة، يقال: قَلَبه يقلبه: حوله عن وجهه، وقَلَب الشيء: حوله ظهراً لبطن، ويقال: أَقْلَبَت الخبزة، إذا حان لها أن تقلب.

ومن هذا قولهم: ما به قَلَبة، أي ما به شيء يقلقه، فيتقلب من أجل تقلقله علىٰ فراشه؛ لحزنه وغمه.

بل إنك لتلحظ في المعنىٰ الأول وجود المعنىٰ الثاني، فما سمي القلب إلا لتقلبه[١].

المطلب الثاني: بيان المراد بمصطلح القلب في القرآن الكريم.

يقسم أهل العلم المقلوب أو القلب في القرآن الكريم إلىٰ ثلاثة أقسام[٢]:

الأول: قلب إسناد: يراد به أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه، مع إثبات حكم كل للآخر[٣].

ويمكن أن نقول: أن يسند أمر لقائل أو فاعل والمراد غيره[٤].

---

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٣٢)، تهذيب اللغة (٩/ ١٤٣)، الصحاح (١/ ٢٠٥)، مقاييس اللغة (٥/ ١٧)، القاموس المحيط (ص:١٢٧)، تاج العروس (٤/ ٧٥).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٨٨)، الإتقان في علوم القرآن (٣/ ١٢٨)، معترك الأقران (١/ ١٩٢)، العذب النمير (٤/ ٦٩).

(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٢/ ٩٧)، حاشية الشمني علىٰ المغني(٢/ ٢٨٣)،الكافي في علوم البلاغة (ص:١٥٥).

(٤) قال العلامة الشنقيطي كما في العذب النمير (٤/ ٦٩):"القلب الذي يذكر في المعاني، وهو القلب الذي يكون فيه قلب الفاعل مفعولاً مثلاً".

وبيان هذا التعريف:

أن تأتي آية في كتاب الله تعالىٰ يضاف فيها الفعل من قيام أو قعود أو منع أو تحريم أو نحو ذلك للفاعل، بينما القائم به المفعول به، وقُلْ مثل هذا في المفعول يقع عليه الفعل في كتاب الله تعالىٰ، وفي حقيقته واقع علىٰ غيره.

فمثلاً: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤]، قال بعضهم: المعنىٰ: اجعلنا مؤتمين بهم، مقتدين بهم.

فأنت ترىٰ أنهم دعوا الله أن يكونوا للمتقين إماماً، لكنْ، حملها بعض أهل العلم علىٰ أن المراد: اجعلنا نأتم بأهل التقوىٰ.

ومثالٌ آخر: قوله تعالىٰ: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦].

فهنا أضيف النوء للمفاتح، والمراد: أنَّ أولي القوة هي التي تنوء.

وفي الجانب التطبيقي بيان وذكر لسائر أمثلته-إن شاء الله تعالىٰ-.

فهذا النوع يسمىٰ عند أهل العلم قلب الإسناد، وهو أشهر الأنواع عند الإطلاق، وإليه ينصرف مسمىٰ القلب.

النوع الثاني: قلب عطف: وهو: أن تجعل المعطوف عليه معطوفاً، والمعطوف معطوفاً عليه، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل:٢٨].

وحقيقته: فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم؛ لأنَّ نظره ما يرجعون من القول غير متأت مع توليه عنهم.

وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم:٨]، أي: تدلىٰ فدنا.

وهذا النوع حقه أن يذكر في باب المقدم والمؤخر في القرآن الكريم، لا القلب، والأمثلة التي ذكرها الزركشي هي بعينها المذكورة في باب المقدم والمؤخر من كتب علوم القرآن الكريم[1].

---

(١) انظر في هذا بحث المقدم والمؤخر في القرآن الكريم من خلال تفسير ابن الجوزي، د.علي بن جريد، بحث محكم، منشور في مجلة تبيان، العدد الثاني عشر.

كما نصَّ جمع من المفسرين علىٰ أنَّ هذه الآيات من قبيل المقدم والمؤخر.

ولشبه هذا النوع بالمقدم والمؤخر في القرآن الكريم جعله ابن قتيبة من قبيل المقلوب، فقال: "ومن المقلوب أن يقدم ما يوضحه التأخير، ويؤخر ما يوضحه المقدم"(١).

وعلىٰ كلٍ، فهذا النوع ألصق بالمقدم والمؤخر منه بالمقلوب.

ولما تطرق السمين الحلبي للكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ (الفرقان:٤٣) وذكر قول من قال بالقلب، قال: "قلت: قد تقدم فيه ثلاثة مذاهب، علىٰ أنَّ هذا ليس من القلب المذكور في شيء، إنما هو تقديم وتأخير فقط"(٢).

واعلم أن بعض الآيات تعد عند بعض من قبيل المقلوب؛ لأنها دخلت في النوع الأول مثلاً، وهذا لا إشكال فيه، فمن ذهب إلىٰ هذا نستطيع القول بأنه يثبت أسلوب القلب في القرآن الكريم.

أما من قال في بعض الآيات: إنها جاءت علىٰ القلب باعتبار النوع الثاني، فهذا لا نستطيع القول بأنه يثبت القلب في القرآن الكريم.

خذ مثلاً علىٰ ذلك: ابن قتيبة يثبت النوع الثاني في القرآن الكريم دون الأول.

فلا نستطيع القول بأن ابن قتيبة يثبت القلب في القرآن الكريم، مع أنه قال بالقلب لكن بالنوع الثاني.

ولهذا فابن قتيبة معدود في العلماء الذين لا يرون القلب في اللغة العربية(٣).

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص:١٩٣).

(٢) الدر المصون(٨/ ٤٨٦)

(٣) انظر: التفسير البسيط (٣/ ٤٩٢).

بل صرح ابن قتيبة بمنع هذا في القرآن الكريم، ويظهر من كلامه أنه يرىٰ منعه في اللغة، فهو رحمه الله يصف بعض الأبيات التي يستدل بها علىٰ القلب عند العرب بالخطأ، وأنَّ الشاعر ضاق عليه الأمر، فأسند الفعل إلىٰ غير صاحبه، ثم قال في تأويل المشكل(ص:٢٠٠):"وهذا ما لا يجوز لأحد أن يحكم به في كتاب الله لو لم يجد له مذهباً؛ لأن الشعراء تقلب اللفظ، وتزيل الكلام علىٰ الغلط، أو علىٰ طريق الضرورة للقافية، أو لاستقامة وزن البيت" أي: والله منزه عن ذلك، وكان قبل هذا قال في (ص:١٩٨): "ومن المقلوب علىٰ الغلط" ثم ذكر بعض الأبيات التي أخطأ بها بعض الشعراء.

الثالث: قلب العكس: وهو أمر لفظي، ويعنىٰ به: أن تقرأ كلمة أو كلمتين من القرآن الكريم من أولها أو آخرها بنفس اللفظ، وليس له في القرآن الكريم إلا مثالان، لا ثالث لهما، وهما:

- قوله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾(الأنبياء:٣٣).
- وقوله تعالىٰ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾(المدثر:٣)[١].

وعند أهل البلاغة نوع آخر هو التشبيه المقلوب[٢]، وهو: جعل المشبه مشبهًا به، والمشبه به مشبهًا، فتقول: الشمس كوجه فلانة.

ومثلوا له: بقوله تعالىٰ حاكيًا عن المشركين قولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة:٢٧٥).

❊ ❊ ❊

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٩٣)، الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣١٨)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٣٠٩).

(٢) التشبيه بأنواعه –وأحدها: التشبيه المقلوب– يطرقه البلاغيون في علم البيان، أما ما نحن فيه فهو مطروق في علم المعاني.

المطلب الثالث: أسلوب القلب في اللغة العربية

اختلف علماء العربية في هذه المسألة علىٰ أربعة أقوال، هي:

القول الأول: القلب أسلوب عربي، جاء علىٰ ألسنة الشعراء، والشعر ديوان العرب، كما هو معلوم.

وقد ذكره كبار علماء العربية، ونسبوه لأهلها، فمن هؤلاء:

المبرد[١]: فقد ذكره عن العرب، حيث قال: «ومما في القرآن مما يجيء مثله في كلام العرب من التحويل، كقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾(القصص:٧٦) وإنما العصبة تنوء بالمفاتح.

ومن كلام العرب:إنَّ فلانة لتنوء بها عجيزتها، ويقولون: أدخلت القلنسوة في رأسي، وأدخلت الخف في رجلي.

وإنما يكون مثل هذا فيما لا يكون فيه لبس ولا إشكال ولا وهم.

ولا يجوز ضربت زيداً، وأنت تريد غلام زيد"[٢].

وممن أثبته أيضـاً: ابن فارس[٣]، حيث قال: "باب القلب: ومن سنن العرب

---

(١) المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير، من ثمالة من الأزد، شيخ أهل النحو، وحافظ علم العربية، كان عالماً فاضلاً، موثوقاً به في الرواية، حسن المحاضرة، مليح الأخبار، كثير النوادر، قال أبو بكر بن مجاهد: ما رأيت أحسن جواباً من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم، توفي سنة خمس وثمانين ومائتين.

انظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين (ص:١٠١)، تاريخ بغداد (٤/ ٦٠٣)، معجم الأدباء (٦/ ٢٦٨٣).

(٢) كتاب: ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد (ص:٣٨)، وقال مثل هذا في الكامل (١/ ٤٧٥) عند شرحه بيت الفرزدق: وأطلس عسالٍ وما كان صاحباً...رفعت لناري موهناً فأتاني.

قال: "وقوله:"رفعت لناري"، من المقلوب، إنما أراد رفعت له ناري، والكلام إذا لم يدخله لبسٌ جاز القلب للاختصار".

(٣) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، اللغوي، الأديب، الكاتب، الشاعر، كان كريماً جواداً لا يبقي شيئاً، وربما سئل فوهب ثياب جسمه وفرش بيته، وكان فقيها شافعياً فصار مالكياً، وقال: دخلتني الحمية لهذا البلد- يعني الريّ- كيف لا يكون فيه رجل علىٰ مذهب هذا الرجل المقبول القول علىٰ جميع الألسنة، له مصنفات ماتعة علىٰ رأسها مقاييس اللغة، مات سنة خمس وتسعين وثلاثمائة.

=

القلبُ، وذلك يكون في الكلمة، ويكون في القِصَّة"[1].

وممن أثبته شيخ العربية في عصره: ابن هشام[2]، حيث قال:" من فنونهم القلب، وأكثر وقوعه في الشعر"[3].

ويعد السكاكي[4] من أشهر من ذهب إلىٰ هذا القول[5]، حيث قال: "وهي مما يورث الكلام ملاحة، ولا يشجع عليها إلا كمال البلاغة، تأتي في الكلام، وفي الأشعار، وفي التنزيل"[6].

قال الشنقيطي: "وأجازه كثير من علماء العربية"[7].

وقال مختاراً لهذا القول: "والحق أنَّ هذا القلب العربي -وإن أنكره البلاغيون، وقالوا: لا يجوز في العربية إلا إذا تضمن اعتباراً لطيفـًا، وسراً من أسرار اللغة العربية، وبغير ذلك لا يجوز، والنحويون يجيزه أكثرهم- أنه أسلوب عربي إذا دل المقام عليه، وهو موجود في القرآن، وكثير في كلام العرب".

=

انظر: معجم الأدباء (١/ ٤١١)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٣)،جمهرة تراجم الفقهاء المالكية (١/ ٢٤٢).

(١) الصاحبي في فقه اللغة (ص:١٥٣).

(٢) عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام، شيخ اللغة وأستاذها، أتقن العربية، وأحاط بدقائقها وحقائقها، ففاق الأقران، وتفرد بهذا الفن، ولم يبق له نظير فيه، وتصدىٰ للتدريس وانتفع به الناس، مع التواضع والبر والشفقة ودماثة الخلق ورقة القلب، وقد كتب المؤلفات النافعة، والمصنفات المفيدة، وكان شافعيـًا ثم تحنبل، مات سنة إحدىٰ وستين وسبعمائة.
انظر ترجمته في: الدرر الكامنة (٣/ ٩٤)البدر الطالع (١/ ٤٠١).

(٣) مغني اللبيب(٦/ ٧٠٩)، وانظر: حاشية الشمني علىٰ المغني(٢/ ٢٨٣).

(٤)يوسف بن أبي بكر بن محمد أبو يعقوب السكاكي الخوارزمي، علامة إمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، متكلم فقيه متفنن في علوم شتىٰ، وهو أحد أفاضل عصره، توفي سنة ست وعشرين وستمائة.
انظر: معجم الأدباء (٦/ ٢٨٤٦)، تاريخ الإسلام (١٣/ ٨٢٨)،بغية الوعاة (٢/ ٣٦٤).

(٥) انظر: الحاشية علىٰ المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم(ص:١٦٧)،بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (١/ ١٤٨).

(٦)مفتاح العلوم (ص:٢١١).

(٧) أضواء البيان (٧/ ٢٢٨).

ثم قال: "وهذا أسلوب عربي معروف إذا دلَّ المقام عليه، وهو موجود في كلام العرب وفي القرآن العظيم"[(١)].

ومثلوا له بقول رؤبة[(٢)]:

ومَهْمَةٍ مُغْبَرةً أرجَاؤه ** كأنّ لوْنَ أرْضِهِ سَماؤه

يريد: كأن سماءه لغبرتها لون أرضه.

قال ابن الشجري[(٣)]: "وقوله: «كأنّ لون أرضه سماؤه» هو من المقلوب، وفيه تقدير حذف مضاف، وإنما أراد: كأنّ لون سمائه لون أرضه، وذلك؛ لأن القتام لأجل الجدب ارتفع حتىٰ غطّىٰ السماء، فصار لونها كلون الأرض، وقد اتّسع القلب فىٰ كلامهم حتىٰ استعملوه فىٰ غير الشّعر، فقالوا: أدخلت القلنسوة في رأسي، والخاتم في إصبعي"[(٤)].

ومما جاء علىٰ هذا: قول أبي النجم[(٥)]:

قبل دُنُوّ الأفْقِ ** من جَوْزائِهِ

يريد: قبل دنو الجوزاء من الأفق[(٦)].

---

(١) العذب النمير (٤/ ٦٩).

(٢) رؤبة بن العجاج بن لبيد بن صخر التميمي الراجز، من أعراب البصرة،كان رأساً في اللغة، أخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره، ويقولون بإمامته في اللغة، مات سنة خمس وأربعين، قال الخليل لما مات رؤبة: دفنا الشعر واللغة والفصاحة.
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٢)،الوافي بالوفيات (١٤/ ٩٩)، الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤).

(٣) أبو السعادات، هبة الله بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله، ينتهي نسبه بالحسن بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الشجري البغدادي، نسب إلىٰ بيت الشجري من قبل أمه، كان أوحد زمانه وفرد أوانه في علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها، متضلعاً من الأدب، كامل الفضل، من مصنفاته الأمالي، وهو كتاب نفيس، توفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة.
انظر ترجمته في:نزهة الألباء (ص:٣٠٠)، معجم الأدباء (٦/ ٢٧٧٥)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٩٤).

(٤) أمالي ابن الشجري (٢/ ١٣٥).

(٥) الفضل بن قدامة بن عبيد بن عبيد الله بن عبدة العجلي الراجز، مقدم عند جماعة من أهل العلم علىٰ العجاج، توفي في حدود العشرين ومائة.انظر ترجمته في: معجم الشعراء (ص:٣١٠)، الوافي بالوفيات (٢٤/ ٤٣).

(٦) البيت منسوب له في سر الفصاحة (ص: ١١٦)، وفي ضرائر الشعر (ص:٢٦٨).

ومثلوا له أيضـًا: بقول النمر بن تولب[١]:

فإن أنت لاقيت في نجدة ** فلا تتهيبك أن تقدما

فإن المنية من يخشهـا ** فسوف تصادفه أينما

قالوا: المراد: فلا تتهيبها أن تقدما؛ لأنَّ النجدة وهي القتال والحرب لا تتهيب أحداً[٢].

وأيضـًا:

كانت فريضة ما تقول كما ** كان الزناء فريضة الرجم

فقوله: كان الزناء فريضة الرجم، هذا علىٰ القلب، والمراد: وإنما الرجم فريضة الزنا[٣].

وفي أقاويل العرب: "إذا طلعت الجوزاء انتصب العود فىٰ الحرباء" يريدون: انتصب الحرباء فىٰ العود، والحرباء: دويبّة تعانق عودا، وتدور مع عين الشمس حيث دارت إلىٰ أن تغيب.

وقد حكىٰ هذا أبو زيد[٤] وهو من أئمة العربية، وهو ممن يثبت القلب في اللغة[٥].

وقال أبو الحسن الأخفش[٦]: يقولون: "عرضت الناقة علىٰ الحوض، وعرضتها

(١) النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العكلي، شاعر مخضرم له صحبة، وكان جواداً كريمـًا، كان أبو عمرو ابن العلاء يسميه الكيِّس؛ لجودة شعره، وكثرة أمثاله، وقد عمّر طويلا حتىٰ أنكر عقله، فيقال: إنه عمر مائتي سنة.

انظر: معجم الصحابة لابن قانع (٣/ ١٦٥)،إكمال تهذيب الكمال (١٢/ ٨٢)،الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٣٧١).

(٢) انظر البيت منسوبا للنمر ومشروحا في: المعاني الكبير (٣/ ١٢٦٤)، أمالي ابن الشجري (٢/ ١٣٧)، ضرائر الشعر (ص:٢٦٩)، خزانة الأدب للبغدادي (١١/ ١٠٣).

(٣) انظر: الوساطه بين المتنبي وخصومه (ص:٤٦٩)، ما يجوز للشاعر في الضرورة (ص: ٢٩٩)،سر الفصاحة (ص:١١٥)، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ٣٦٨)، ضرائر الشعر (ص:٢٧٠)، خزانة الأدب للبغدادي (٩/ ٢٠٣).

والبيت منسوب للنابغة الجعدي، كما في: سمط اللآلي وضرائر الشعر.

(٤)ستأتي ترجمته إن شاء الله تعالىٰ.

(٥) انظر: كتاب الشعر (ص:١٠٥)، أمالي ابن الشجري (٢/ ١٣٧)، ضرائر الشعر (ص:٢٧١).

(٦) الأخفش: أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدة المجاشعيّ، مولىٰ بني مُجاشع، من أكابر أئمة النحويين البصريين، وكان المعروف بالأخفش الأوسط، وأخذ عن سيبويه، وهو أسن منه، وكان أعلم من أخذ عن سيبويه، طلبه الكسائي معلمـًا لولده، فأجاب، وقرأ عليه الكسائي كتاب سيبويه، فوهبه سبعين ديناراً.

طبقات النحويين واللغويين (ص:٧٣)، نزهة الألباء (ص:١٠٧)، معجم الأدباء (٣/ ١٣٧٤).

علىٰ الماء" يريدون: عرضت الماء عليها[١].

وقال أبو بكر الصولي[٢]:"وقد قلبوا، فقالوا: عرضت الناقة علىٰ الحوض"[٣].

القول الثاني: المنع مطلقـًا.

ويمثل هذا الإتجاه الخفاجي[٤] وأبو القاسم الآمدي[٥]، حيث منعا القلب في العربية، ورأياه مستكرهـًا، وبناءً علىٰ هذا، فقد قالا بمنعه في كتاب الله تعالىٰ، وعدم وجوده، قال الآمدي: "المتأخر لا يرخص له في القلب؛ لأنَّ القلب إنَّما جاء في كلام العرب علىٰ السهو، والمتأخر إنما يحتذىٰ علىٰ أمثلتهم، ويقتدىٰ بهم، وليس ينبغي له أن يتبعهم فيما سهوا فيه".

ثم قال: "ولكن القلب القبيح لا يجوز في الشعر، ولا في القرآن، وهو ما جاء في كلامهم علىٰ سبيل الغلط"[٦].

---

(١) انظر: كتاب الشعر (ص:١٠٥)، ضرائر الشعر (ص:٢٧١)، ومذهب الأخفش هذا نصَّ عليه في معانىٰ القرآن (٢/ ٤٧١).

(٢) أبو بكر محمد بن يحيىٰ بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول؛ عالم بفنون الآداب، حسن العقيدة، جميل الطريقة، ذو معرفة بآداب الملوك والخلفاء، حاذق بتصنيف الكتب، وكان نديمـًا لجماعة من الخلفاء وجمع أشعارهم، ودون أخبارهم، وكان ذا نسب؛ فإنَّ جده صول وأهله كانوا ملوك جرجان، مات بالبصرة في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

نزهة الألباء (ص:٢٠٤)، إنباه الرواة (٣/ ٢٣٣)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٠١).

(٣) أدب الكتاب للصولي (ص:١٢٩)، وانظر: خزانة الأدب للبغدادي (٩/ ٢٩٤)، علوم البلاغة للمراغي (ص:١٤٥).

(٤) في كتابه سر الفصاحة (ص:١١٤).

والخفاجي: عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد الحلبي: شاعر، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره، وهو علىٰ رأي المعتزلة في القول بالصرفة، وله مصنف في ذلك، وكانت له ولاية بقلعة عزاز من أعمال حلب، وعصي بها، فاحتيل عليه بإطعامه سمـًا، فمات، وحمل إلىٰ حلب، توفي سنة ست وستين وأربعمائة.

انظر: الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٧١)، الأعلام للزركلي (٤/ ١٢٢).

(٥) الحسن بن بشر بن يحيىٰ الآمدي الأصل، البصريّ المنشأ، إمام في الأدب، وله شعر حسن، واتساع تام في علم الشعر ومعانيه رواية ودراية، صحب المشايخ والجلّة، كأبىٰ إسحاق الزجّاج وطبقته، توفي سنة سبعين وثلاثمائة.

انظر: معجم الأدباء (٢/ ٨٤٧)، إنباه الرواة (١/ ٣٢٠)، البلغة (ص:١١١).

(٦) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري (١/ ٢١٩).

ثم ساق أبياتـًا زعم فيها خطأ من قالها.

ثم ناقش المبرد في رأيه في جواز القلب، وذكر أنَّه لم يعلم أحداً قال بجواز القلب للاختصار غيره، فلو قال: لإصلاح الوزن أو للضرورة كما قال غيره كان ذلك أشبه.

القول الثالث: جواز القلب إن تضمن اعتبارًا لطيفـًا، وإلا ردَّ.

ولا يبعد هذا أن يكون قول من نسب إليه القبول مطلقـًا، وذلك لأنَّ الاتفاق حاصل علىٰ أنَّ القلب خلاف الأصل في الكلام، فلا يصار إليه إلا إذا تضمن معنىٰ حسنـًا.

وقد نصَّ علىٰ هذا القول واختاره القزويني خطيب دمشق [1].

وبناء علىٰ هذا القول: أنه إذا أمكن الحمل علىٰ الظاهر من النص، فالمصير إليه أولىٰ.

قال عبد القادر البغدادي[2]:"القلب لا يصار إليه إذا وجد وَجه آخر"[3].

القول الرابع: الجواز في الشعر ضرورة فقط[4].

وإلىٰ هذا ذهب النحاس، وسيأتي نقل كلامه، وكذا ابن عصفور[5]، حيث قال: "والقلب مقيس في الشعر بلا خلاف؛ لكثرة مجيئه فيه...

إلا أنَّ ذلك لم يكثر في الكلام كثرته في الشعر، فلم يجز لذلك القياس عليه"[6].

---

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٢/ ٩٨)، وانظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (١/ ١٤٨).
والقزويني هو: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو عبد الله الشافعي، العلامة ذو الفنون، ولي منصب قاضي القضاة في مصر، وعظم شأنه وبلغ من العز والوجاهة ما لا يوصف، وكان حسن التقاضي لطيف السفارة، لا يكاد يمنع من شيء يسأل فيه، فصيحـًا حلو العبارة، مليح الصورة، موطأ الأكناف، سمحـًا جواداً حليمـًا، توفي بدمشق في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة.
انظر: أعيان العصر (٤/ ٤٩٢)، الوافي بالوفيات (٣/ ١٩٩)، طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي (٩/ ١٦٠).

(٢) عبد القادر بن عمر البغدادي، علّامة بالأدب والتاريخ والأخبار، ولد وتأدب ببغداد، وأولع بالأسفار، وجمع مكتبة نفيسة، كان يتقن آداب التركية والفارسية، توفي في القاهرة عام ثلاث وتسعين وألف.
انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٤١).

(٣) خزانة الأدب (٩/ ٢٠٣).

(٤) انظر: ما يجوز للشاعر في الضرورة (ص:٢٩٨)، الدر المصون (٥/ ٤٠٢).

(٥) أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي، حامل لواء العربية بالأندلس، كثير المطالعة، له تصانيف حسنة، وتوفي سنة ثلاث – وقيل: تسع – وستين وستمائة.
انظر: تاريخ الإسلام (١٥/ ١٧٢)، فوات الوفيات (٣/ ١١٠)، بغية الوعاة (٢/ ٢١٠)، البلغة (ص: ٢١٩).

(٦) ضرائر الشعر (ص:٢٧١).

موقف المفسرين من وجود القلب في اللغة العربية:

اختلف أهل المعرفة بتأويل كلام الله تعالىٰ في هـذه المسـألة، كما اختلف أهـل العربية، علىٰ قولين اثنين، هما:

الأول: وجود القلب في اللغة.

وإلىٰ هذا ذهب أكثر المفسرين، ولنتتبع هذا القول باعتبار قائليه:

أثبته الفراء، حيث قال: "وهو ظاهر في كلام العرب أن يقولوا:

فلان يخافك كخوف الأسد، والمعنىٰ: كخوفه الأسد؛ لأن الأسد هو المعروف بأنه المخوف"[١].

وأثبته أبو عبيدة، حيث قال: "والعرب تريد الشيء فتحوّله إلىٰ شيء من سببه، يقولون: أعرض الحوض علىٰ الناقة، وإنما تعرض الناقة علىٰ الحوض، ويقولون: هذا القميص لا يقطعني، ويقولون: أدخلت القلنسوة في رأسي، وإنما أدخلت رأسك في القلنسوة، وكذلك الخفّ"[٢].

وبه قال الطبري، حيث أورد إيرادا ربما يرد علىٰ مذهب اختاره في فهم آية من كتاب الله تعالىٰ، فقال: "فإن أشكل ما قلنا علىٰ ذي غفلة، فقال: وكيف يجوز أن يكون ذلك كما قلت، و «من» إنما هي في كتاب الله في «الحق» واللام في قوله: ﴿لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾(البقرة:٢١٣) [٣] وأنت تحول اللام في «الحق»، و«من» في الاختلاف في التأويل الذي تتأوله **فتجعله مقلوبًا**؟.

قيل: ذلك في كلام العرب موجود مستفيض، والله تبارك وتعالىٰ إنما خاطبهم بمنطقهم"[٤].

وممن أثبته الواحدي، حيث قال: «وقول الفراء صحيح(يعني القلب) وإن أنكره

(١)معاني القرآن للفراء (١/ ٩٩).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٦٣-٦٤).

(٣) انظر: (ص: من هذا البحث).

(٤) جامع البيان (٣/ ٦٣٤)، وانظر كذلك: (٣/ ٤٨) من جامع البيان.

ابن قتيبة، موافق لمذاهب العرب في فنون مخاطباتها، فإنهم يفعلون الشيء للضرورة، ثم يصير وجهًا ومذهبًا لهم في الكلام، حتىٰ يجيزوه وإن لم تدع إليه ضرورة"[1].

وممن أثبته العلامة الشنقيطي حيث قال: "وهذا أسلوب عربي معروف إذا دلَّ المقام عليه، وهو موجود في كلام العرب وفي القرآن العظيم"[2].

ولا يشكل علىٰ هذا قوله: "والذي يظهر لنا أنه أسلوب عربي نطقت به العرب في لغتها، إلا أنَّه يحفظ ما سمع منه، ولا يقاس عليه"[3].

فهو يثبت في هذا النص كونه من أساليب العرب في حديثها، ولم يتعرض لوروده في القرآن الكريم، وهذا ما أثبته في النص السابق.

وجوَّزه الزمخشري، حيث قال:" ويجوز أن يراد: عَرْضُ النار عليهم، من قولهم: عرضت الناقة علىٰ الحوض، يريدون: عرض الحوض عليها، فقلبوا"[4].

وذهب البيضاوي إلىٰ أنه فصيح عند اتضاح المراد والأمن من الالتباس[5].

كما أنَّ جمعـًا من المفسرين قالوا به، ويبعد جداً بل يستحيل أن يقولوا بأسلوب لا تعرفه العرب، فهذا دليل ضمني علىٰ إثبات هذا في العربية.

ومن هؤلاء: السمعاني[6].

بل حكىٰ جمع من المفسرين القول بالقلب في معنىٰ آية من كتاب الله تعالىٰ، ولم يحكوا سواه، ولم ينتقدوه بشيء[7]، فهل هذا إلا دليل أكيد علىٰ ثبوت القلب في في اللغة العربية.

وسيأتي زيادة اثبات لهذا في القسم التطبيقي.

ونجد هؤلاء العلماء يثبتونه مطلقـًا من غير تفصيل، ولا نستطيع القول بأنَّهم

---

(١) التفسير البسيط (٣/ ٤٩٣).

(٢)العذب النمير (٤/ ٦٩).

(٣) أضواء البيان (٧/ ٢٢٨).

(٤) الكشاف (٤/ ٣٠٥).

(٥) انظر: حاشية زاده علىٰ تفسير البيضاوي(٤/ ٢٦٨).

(٦) انظر: تفسير السمعاني (٤/ ٥٣).

(٧) انظر دراسة قوله تعالىٰ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ﴾ من هذا البحث.

علىٰ مذهب من يرىٰ ثبوته في اللغة مطلقـًا؛ لأن كلامهم جاء لإثبات كونه أسلوبـًا عربيـًا، فهم قصدوا من هذا الرد علىٰ من نفاه عند العرب.

هذا قولٌ.

وقول آخر ذهب إليه النحاس ونصره أبو حيان كثيراً وتابعه عليه تلميذه السمين الحلبي، وهو أنَّ القلب إنما يقع في الشعر ضرورة.

قال النحاس: "وهذا القول لا ينبغي أن يجاب به في كتاب الله؛ لأنَّ القلب إنما يقع في الشعر اضطراراً"[(١)].

وقال أبو حيان: "والقلب عند أصحابنا يختص بضرورة الشعر، فلا نخرج كلام الله عليه"[(٢)].

وكان أبو حيان كثيرا ما يشتد علىٰ أسلوب القلب، ويرده، بل هو أكثر العلماء له رداً.

ولا يبعد موقف تلميذه عنه في هذا[(٣)].

الترجيح:

بعد النظر في أقوال العلماء يظهر لنا- والعلم عند الله تعالىٰ- ظهوراً جليـًا أنَّ القلب أسلوب عربي استعملته العرب في أشعارها وفي أقاويلها، وإنَّ من أكبر الأدلة علىٰ هذا إثبات أساطين العلم بمعرفة لغات العرب له، والقول به واختياره كأسلوب عربي، والمثبت مقدم علىٰ النافي؛ لأن معه زيادة علم، يضاف إلىٰ هذا ما ساقوه من أشعارهم كدليل بين، وبرهان جلي علىٰ جريان القلب علىٰ ألسنة العرب واستعمالهم له في منثور كلامهم ومنظومه.

❊ ❊ ❊

---

(١) حكاه عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٨٩)، ولم أجده في كتب النحاس الثلاث: المعاني والناسخ والإعراب.

(٢) البحر المحيط (٢/ ٣٧٠)، وفي(٢/ ١٠٦) قال:" وينبغي أن ينزه القرآن عنه؛ لأن الصحيح أن القلب لا يكون إلا في الشعر، أو إن جاء في الكلام، فهو من القلة بحيث لا يقاس عليه".

وقال في (٧/ ٤٣٠): "القلب الصحيح فيه أن لا يكون في كلام فصيح، وإنَّ بابه الشعر".

(٣) قال في الدر المصون (٢/ ٢٣١): "إلا أن القلب لا يقع علىٰ الصحيح إلا في ضرورة أو ندور".

المطلب الرابع: أسلوب القلب في القرآن الكريم

من المعلوم عند أهل العلم أنَّه ليس كل ما جاء في اللغة صح حمل كتاب الله تعالىٰ عليه، فتأويل كلام الله قائم علىٰ قواعد أخذها أهل العلم واستنبطوها من مجمل أمور، فكانت كالفيصل، يرد عند الاختلاف إليها، ويحكم عند التنازع بها.

فإذا ثبت شيء في اللسان العربي فليس بالضرورة أن يصح حمل كتاب الله تعالىٰ عليه، فهل كذلك القلب؟.

والجواب: من خلال دراسة هذا النوع، وما قيل عن بعض آيات القرآن الكريم: إنها جاءت عليه، أستطيع القول بكل اطمئنان: إنَّ أغلب المفسرين علىٰ قبوله، والقول به في كتاب الله تعالىٰ، لكن غالبهم لا يصيرون إليه إلا إذا كان هناك ما يستدعي القول به؛ لأنَّ القلبَ خلاف الظاهر، وخلاف الظاهر لا يصار إليه إلا بدليل.

قال الرازي: "وأبعد الأقوال هذا القلب؛ لأنه إذا أمكن حمل الكلام علىٰ معنىٰ صحيح وهو علىٰ ترتيبه فهو أولىٰ من أن يحمل علىٰ أنه مقلوب"[1].

وإليك بعض من أثبته من المفسرين في كتاب الله تعالىٰ، واختاره وقال به في فهم كتاب الله تعالىٰ: الفراء[2] وأبو عبيدة[3] والطبري[4] والزجاج[5] ومكي[6]

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٤٥)، وقريب منه قول ابن الأنباري، وقد نقله عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٤/ ٢٥٦).

وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٢٨٧):

"وادعاء القلب علىٰ لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلىٰ ذلك عجز وسوء نظر، وذلك أن الكلام يتخرج علىٰ وجهه ورصفه".

وقال الشنقيطي في الأضواء (٧/ ٢٢٨): "وهذا النوع من القلب وإن أجازه بعضهم، فلا ينبغي حمل الآية عليه؛ لأنَّه خلاف الظاهر، ولا دليل عليه يجب الرجوع إليه".

فهذا يوضح لنا التعامل الصحيح مع هذا الفن من فنون العرب في خطاباتهم.

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٦٥)، ودراسة قوله تعالىٰ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ (ق:١٩).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٣٨)، وفي البحث عدة مواضع اختار رَحِمَهُ اللَّهُ فيها القلب.

(٤) انظر: جامع البيان (١٢/ ٣٨٢)، وانظر دراسة قوله تعالىٰ: ﴿فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ و﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ من هذا البحث.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٠٨).

(٦) انظر: الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٢/ ١٠٠٦).

والواحدي[١] والسمعاني[٢] والبغوي[٣] وابن الجوزي[٤] والقرطبي[٥] والسيوطي[٦] والشوكاني[٧] والشنقيطي[٨].

قال ابن عاشور: "وقد ورد القلب في آيات من القرآن"[٩].

وجوزه الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود[١٠].

وذكره ابن عطية احتمالاً في معنىٰ آية من الآيات[١١].

كما وجدت أثناء الدراسة أنَّ جمعـًا منهم يحكي القول بالقلب كمعنىٰ للآية الكريمة، من غير أن ينتقده كما في

غيره من المواطن التي قيل فيها القلب[١٢].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: الوجيز للواحدي (ص:٢٠٩)، التفسير الوسيط (٣/ ٣٧٣)، التفسير البسيط (١٧/ ١٩٥).

(٢) انظر: تفسير السمعاني (٤/ ٥٣)، (٢/ ٤٢٤).

(٣)انظر: معالم التنزيل(٢/ ٣٥)، (٦/ ١٥٢).

(٤) انظر: زاد المسير (١/ ٢٨٠)، (٣/ ٣٥٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٩).

(٦) تفسير الجلالين (ص:٧١)، حاشية الجمل علىٰ الجلالين(١/ ٢٨٥).

(٧) فتح القدير (٤/ ١٥٢).

(٨) العذب النمير (٤/ ٦٩).

(٩) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٨٣).

(١٠) انظر: الكشاف (٢/ ١٣٧)، أنوار التنزيل (٣/ ٢٦)، إرشاد العقل السليم (٣/ ٢٥٧)، وانظر دراسة قول الله تعالىٰ من هذا البحث:﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (الأعراف:١٠٥).

(١١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٦٤)، وانظر دراسة قوله تعالىٰ: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ من هذا البحث.

(١٢) انظر: مفاتيح الغيب (٢١/ ٤٦٧)، أنوار التنزيل (٣/ ٢٨٣)، إرشاد العقل السليم (٥/ ٢٢٥)، حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (٦/ ١٠٤)، روح المعاني (٨/ ٢٧١)، إعراب القرآن وبيانه (٥/ ٦١٩)، وانظر دراسة قوله تعالىٰ:"فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ" (يونس:٢٤).

المبحث الثاني: الآيات التي ذكر فيها القلب

الموضع الأول: قال تعالىٰ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (البقرة: ١٧١).

موضع القلب عند من رآه: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾، قالوا: المثل مضروب لمن ينعق، والمراد المنعوق به، والمعنىٰ: ومثل الذين كفروا في عدم فهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي غير الصوت، فيراد بالذي يَنْعِقُ الذي يُنْعَقُ به، ويكون هذا من باب القلب.

ووجهه: أنَّ المثل ضرب للذين كفروا في عدم استجابتهم، فهم مدعوون، يقابله في المثل: البهائم، وهي منعوق بها، وليست ناعقـًا.

وبناء علىٰ هذا القول، يكون وجه الشبه بينهما: عدم الفقه، وانتفاء الاستجابة.

وإلىٰ هذا ذهب بعض علماء العربية كالفراء وأبي عبيدة وثعلب[1].

وجوزه الطبري[2].

ولم يرتض هذا الوجه ابن قتيبة، وشنع علىٰ قائله، فقال:

"وهذا ما لا يجوز لأحدٍ أنْ يحكم به علىٰ كتاب الله ﷻ لو لم يجد له مذهبـًا"[3].

أي فكيف وقد وَجَدَ له في الآية مذهبـًا سليمـًا صحيحـًا.

وتعقبه الواحدي، فقال:"وقول الفراء صحيح -وإن أنكره ابن قتيبة- موافق لمذاهب العرب في فنون مخاطباتها، فإنهم يفعلون الشيء للضرورة، ثم يصير وجهًا ومذهبًا لهم في الكلام، حتىٰ يجيزوه وإن لم تدع إليه ضرورة"[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٩٩)، مجاز القرآن (١/ ٦٣)، الكشف والبيان (٢/ ٤٢)، زاد المسير (١/ ١٣٢)، الدر المصون (٢/ ٢٣٠).

(٢) جامع البيان (٣/ ٤٧).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٢٦).

(٤) التفسير البسيط (٣/ ٤٩٣)

ولكن، ليس كل ما صحَّ عن العرب صح حمل القرآن عليه.

وأنكر قولَ الفراء أبو حيان ذاكراً أنها في الشعر فحسب، وإن ورد في الكلام، فقيل لا يقاس عليه [١]،

واختار آخرون من أهل العلم هذا المعنىٰ في فهم الآية الكريمة، وأنَّ المراد منها ضرب المثل للكفار في عدم استجابتهم لله ولرسوله ﷺ، لكنهم خالفوهم في القلب، فلم يروه، بل رأوا كون الآية علىٰ وجهها، واختاروا أنَّ في الآية حذفاً من أولها، تقديره: مثلك يا محمد في وعظ هؤلاء الكفار ومناداتهم للحق كمثل الذي ينعق بما لا يسمع.

وهذا ما اختاره الزجاج والسمرقندي والسمعاني والبغوي والخازن[٢].

وقدره بعضهم بـ: مثل واعظ الذين كفروا وداعيهم[٣].

وبهذا قال ابن قتيبة والطبري والزمخشري[٤].

وصوبه الفراء[٥].

والتقديران متقاربان.

قالوا: أضاف المثل إلىٰ الذين كفروا، وحذف أوله- داعي-؛ لدلالة الكلام عليه، ويسمىٰ هذا النوع من الخطاب المضمر، ومثله في القرآن كثير، كقوله: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ (يوسف:٨٢) [٦].

وهذان القولان ينظمهما، قولٌ واحدٌ في الآية، وهو: أنَّ هذا المثل المضروب مثل الكافر في قلة فهمه، وعدم انتفاعه لما يتلىٰ عليه ويدعىٰ إليه، فمثله في هذا مثل

(١) انظر: البحر المحيط (٢/ ١٠٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٤٢)، بحر العلوم (١/ ١١٣)، تفسير السمعاني (١/ ١٦٨)، معالم التنزيل (١/ ١٨١)، لباب التأويل (١/ ١٠٢).

(٣) الكشف والبيان (٢/ ٤١).

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:١٢٩)، جامع البيان (٣/ ٥٠)، الكشاف (١/ ٢١٤).

(٥) معاني القرآن للفراء (١/ ١٠٠).

(٦) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:١٢٩)، جامع البيان (٣/ ٤٧)، الكشف والبيان (٢/ ٤٢)، معالم التنزيل (١/ ١٨١)، زاد المسير (١/ ١٣٢)، الجامع لأحكام القرآن(٢/ ٢١٤).

البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعق بها، ولا تعقل ما يقال لها.

وهو قول أكثر المفسرين، بل قال مكي: "وعلىٰ هذا المعنىٰ فسره كل المفسرين"[1].

كما أنه مروي عن جماعة من السلف كابن عباس[2] ومجاهد[3] وعكرمة[4] والحسن[5] وقتادة[6].

ويشكل علىٰ هذا القول: أنَّ فيه تقديراً، والأصل عدم التقدير.

ويجاب: أنَّه لا مانع من التقدير إذا دلَّ عليه السياق، كما في هذه الآية الكريمة، بل هو أولىٰ من القول بالقلب؛ لأن القلب مختلف في كونه أسلوباً عربياً، وليس كذلك الإضمار.

وذهب بعض أهل العلم إلىٰ أنَّ هذا المثل قد ضربه الله تعالىٰ للكفار في مناداتهم آلهتهم[7].

وإليه ذهب ابن زيد[8]، وعزاه ابن كثير –خطأ– إلىٰ ابن جرير[9].

لكن يشكل عليه: أنَّ الآلهة لا تسمع البتة لا نداءً ولا صوتاً ولا غير ذلك، ولهذا؛ حكاه ابن كثير بصيغة التمريض[10].

وبهذا أيضاً انتقده جمع من المفسرين[11].

---

(١) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (١/ ٥٤٥)، وانظر: الكشف والبيان (٢/ ٤٢).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٤٥) وابن أبي حاتم (١/ ٢٨٢).

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٤٥).

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ٤٤)،وعزاه في الدر المنثور (١/ ٤٠٦) إلىٰ وكيع.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٨٢).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٠١) والطبري (٣/ ٤٦).

(٧) انظر هذا القول في: تفسير السمعاني (١/ ١٦٨)، معالم التنزيل (١/ ١٨٢)، الكشاف(١/ ٢١٤)، زاد المسير (١/ ١٣٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٠٧)، لباب التأويل (١/ ١٠٢).

(٨) أخرجه الطبري (٣/ ٤٩).

(٩) تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٠).

(١٠)تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٠)،

(١١) انظر: تفسير السمعاني(١/ ١٦٨)، الكشاف(١/ ٢١٤)، مفاتيح الغيب(٥/ ١٩٠)، أنوار التنزيل (١/ ١١٩)، إرشاد العقل السليم (١/ ٩٠).

وهذا القول وسابقه يجتمعان في نفي القلب في الآية الكريمة.

واختار ابن عاشور حمل الآية علىٰ المثلين المذكورين، وأنه لا تعارض بينهما، بل هذا من بلاغة القرآن الكريم، وإعجازه في إمكانية حمل الآية علىٰ أكثر من معنىٰ، وسعتها للمعاني العديدة[١].

وما قاله رحمه الله متجهٌ غايةَ الاتجاه، لاسيما والقاعدة التفسيرية المشهورة: الأولىٰ حمل الآية علىٰ المعاني المذكورة عند الإمكان؛ فسعة القرآن لا يمكن أن يحدها العقل البشري، والله الموفق لفهم كتابه والاسترشاد بهديه.

الموضع الثاني: قال الله تعالىٰ: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة:٢١٣).

موضع القلب عند من رآه: ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ﴾ قالوا: المعنىٰ: فهدىٰ الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه.

والسبب في هذا: أنَّا لو حملنا الآية علىٰ سياقها لكان المعنىٰ: فهدىٰ الله أهل الإيمان للاختلاف، وقطعاً ليس هذا هو المراد، وإنما المراد: لَمَّا اختلف الناس هدىٰ الله المؤمنين للحق.

وهذا اختيار شيخ المفسرين الطبري رحمه الله، وقد أفصح عنه وعن سرِّ اختياره له بما لا يدع لنا مجالاً للاجتهاد في البحث عن سبب اختياره، وها هو يقول ويذكر القلب:

"قال أبو جعفر: فإن أشكل ما قلنا علىٰ ذي غفلة، فقال: وكيف يجوز أن يكون ذلك كما قلت، و«من» إنما هي في كتاب الله في «الحق» واللام في قوله: ﴿لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ وأنت تحول اللام في «الحق»، و«من» في الاختلاف في التأويل الذي تتأوله

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢/ ١١١).

فتجعله مقلوبا؟ قيل: ذلك في كلام العرب موجود مستفيض، والله تبارك وتعالىٰ إنما خاطبهم بمنطقهم"[1].

فأنت ترىٰ إقرار الطبري بأنَّ قوله من قبيل المقلوب.

وذكره الفراء قولاً وارداً في تفسير الآية[2]، غير أنَّ مأخذه يختلف عن مأخذ الإمام الطبري ومنزعه، فالفراء يرىٰ أنك إذا فسرت الاختلاف الحاصل بين أهل الكتاب بالتبديل للتوراة، عليه؛ يكون المعنىٰ: فهدىٰ الله المؤمنين للحق من هذا الاختلاف؛ لأن بعضه حق، وبعضه كفر، فأهل الإيمان آمنوا ببعض ذلك وهو الحق، إذاً، فالهداية للحق.

وأما الطبري: فيرىٰ أنَّ اختلاف أهل الكتاب في الجمعة والصلاة والصيام ونحوها، وليس في خصوص التبديل والتحريف لكتبهم، فهدىٰ الله المؤمنين لإصابة الحق الذي هو دين إبراهيم عليه السلام.

وبهذا يتضح لنا الفرق بين المأخذين، فلا نحمل الطبري ما نحمله الفراء؛ لأنّ سبب القولين مختلف، وإن اتحدا في النتيجة، وبهذا نعلم أنَّ استدراك ابن عطية علىٰ الطبري في هذه النقطة في غير محله[3].

وهذا السبب الذي ذكرته – زيادة علىٰ وضوحه في كلام الطبري– نص عليه مكي، ولم يذكر ما ذكره ابن عطية، ولكنه زاد بأن عزا هذا القول إلىٰ أكثر أهل العلم، فقال رحمه الله:

" وهذا عند أكثر أهل العلم فيه قلب، والمعنىٰ: فهدىٰ الله الذين آمنوا للحق مما

---

(١) انظر: جامع البيان (٣/ ٦٣٤).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ١٣١)، قال ابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٢٨٧): "وقال الفراء: في الكلام قلب".

(٣) ولم ينبه علىٰ هذا صاحب كتاب: استدراكات ابن عطية علىٰ الطبري.
والغريب أن ابن عطية ذكر أنَّ الطبري عزا هذا القول للفراء، وهذا وهم بين، فلم يذكر الطبريُّ الفراءَ ههنا.
وهذا مما فات صاحب الاستدراكات أيضـًا.
انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٨٧)، وقارنه بجامع البيان (٣/ ٦٣٤).

اختلفوا فيه...

فالهداية إنما هي للحق، ولم يهدهم للاختلاف.

وظاهر الآية يعطي الهداية للاختلاف؛ لأنه قال: ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ﴾، ولكن الكلام فيه قلب أتىٰ علىٰ لغة العرب وعادتها في كلامها، وهذا قول الطبري واختياره"[1].

فهذا يؤكد ما ذكرته آنفًا من علة القول ومنزعه عند صاحبه الذي قاله وذهب إليه.

ونستطيع القول بأن الزمخشري والبيضاوي قد ذهبا إلىٰ القول بالقلب، فقالا: "أي: فهدىٰ الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف"[2].

فهذه الجملة هي الجملة التي سطرها الطبري في معنىٰ الآية.

وبهذا القول يحصل جواب لسؤال يرد، وهو: لماذا بدأ الله بذكر الاختلاف وقدمه علىٰ ذكر الحق، فيقال: الآية علىٰ القلب، والمراد ذكر الحق ابتداء، كذا فعل الرازي[3].

وانتقد هذا القول ابن عطية، فقال: "وادعاء القلب علىٰ لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلىٰ ذلك عجز وسوء نظر، وذلك أنَّ الكلام يتخرج علىٰ وجهه ورصفه"[4].

أي أنَّ هذا القول مخالف للأصل، وهو كون الكلام علىٰ نسقه، وطالما أنَّ المعنىٰ تام بدونه فلا حاجة إلىٰ القول به.

قال أبو حيان عن قول ابن عطية: "وهو حسن، والقلب عند أصحابنا يختص بضرورة الشعر، فلا نُخَرِّجُ كلام الله عليه"[5].

واختار بعض المفسرين أنَّ في الآية محذوفًا تقديره: معرفة أو إصابة؛ ليكون

(١) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (١/ ٧٠١).

(٢) الكشاف (١/ ٢٥٦)، أنوار التنزيل (١/ ١٣٥).

(٣) مفاتيح الغيب (٦/ ٣٧٧)، وفيه نظر؛ فلا يزال السؤال قائمًا.

(٤) المحرر الوجيز (١/ ٢٨٧).

(٥) البحر المحيط (٢/ ٣٧٠)، وانظر: الدر المصون (٢/ ٣٧٩).

المعنىٰ: فهدىٰ الله الذين آمنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه من الحق.

وإلىٰ هذا ذهب الواحدي وابن الجوزي وابن جزي والخازن[1].

وهذا مخالف للأصل المعروف، وهو الأصل عدم التقدير، لكن القول به أهون من القول بالقلب؛ فالقلب مختلف في وجوده في العربية وفي القرآن الكريم.

لكن لو قالوا: الآية لا تحتاج إلىٰ تقدير؛ لأنَّ ما قدر مفهوم من السياق، فإنَّ الله تعالىٰ أراد إظهار منته علىٰ أهل الإيمان بهدايتهم، والهداية لا تكون إلىٰ الاختلاف بل إلىٰ معرفة الحق وإصابته في الاختلاف.

وهذا المعنىٰ هو ما دندن حوله المفسرون، لكن من قائل بالقلب وآخر بالتقدير، والصواب: أنَّ السياق دال علىٰ هذا المعنىٰ من غير هذين الأمرين، وهذا ما ذكره ابن عطية، وتكون "من" في قوله تعالىٰ: ﴿ مِنَ الْحَقِّ ﴾ بيان للمختلف فيه.

قال ابن عطية: "لأن قوله "فَهَدَىٰ" يقتضي أنهم أصابوا الحق، وتم المعنىٰ في قوله "فِيهِ"، وتبين بقوله مِنَ الْحَقِّ جنس ما وقع الخلاف فيه"[2].

وهذا هو أرجحها؛ لموافقته للقواعد التي ذكرها المفسرون من أن الأصل في السياق كونه علىٰ نسقه، فلا قلب، ولا تقدير، والعلم عند الله تعالىٰ.

الموضع الثالث: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (البقرة:٢٤٦).

موضع القلب عند من رآه: ﴿ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾ قالوا: الآية علىٰ القلب، والمعنىٰ:

---

(١) التفسير البسيط (٤/ ١١٤)، الوجيز للواحدي (ص: ١٦١)، زاد المسير (١/ ١٧٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١١٨)، لباب التأويل (١/ ١٤٣).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٢٨٧)، وكذا قال ابن جزي في التسهيل(١/ ١١٨)في معنىٰ:"من"، وانظر: الدر المصون (٢/ ٣٧٩).

وقد أخرج منا أبناؤنا، فأسند الخروج للآباء في الآية، والمراد خروج الأبناء.

ولعل وجه هذا القول: أنَّ خروج الأبناء من أبنائهم يكون بالسبي، فيؤخذ الأبناء عن آبائهم، وهذا إخراج للأبناء لا الآباء، فيثبت القلب في الآية الكريمة.

ولم أر من تبنىٰ القلب صريحًا، أو عزاه إلىٰ أحد بعينه، سوىٰ حكاية بعض المفسرين لهذا القول وبصيغة التمريض المقتضية للتضعيف[1].

لكنا نجد من المفسرين من يذكر سبي الأبناء، وهذا كما ذكرنا إخراج للأبناء.

قال الزجاج: "ومعني (وَأَبْنَائِنَا)، أي سُبِيَتْ ذرارينا"[2].

ولكننا لا نستطيع القول بأن هذا التفسير يريد أربابه القلب في الآية الكريمة؛ لاحتمال أنهم أرادوا أن الآباء أبعدوا عن أبنائهم بالأسر والقتل، ثم وقع السبي علىٰ الذرية، فيكون المعنىٰ الذي أشارت إليه الآية الكريمة حاصل بلا قلب، وهو إبعاد الرجال عن ديارهم وأبنائهم.

وينتقد القول بالقلب بأمرين اثنين، هما:

- أن القول بالقلب علىٰ خلاف الأصل.

- أنهم ذكروا قبل الأبناء خروجهم من ديارهم، ولا يمكن أن يكون قلب في الديار؛ إذ لا يتصور خروج الديار من الناس، فكيف نقول بالقلب في كلمتين متعاطفتين، هذا فيه بعد.

ولذا قال السمين الحلبي: "وقيل: إنَّ هذا علىٰ القلبِ، والأصلُ: وقد أُخْرِجَ أبناؤنا منا، ولا حاجةَ إلىٰ هذا"[3].

وظاهر الآية بين واضح لا يحتاج إلىٰ قلب، ومعناها الذي نص عليه من رأيته من المفسرين: أنهم استولوا علىٰ بلادهم، وطردوهم منها، وخلفوهم في أبنائهم، فاستعبدوهم.

---

(١) انظر: البحر المحيط (٢/ ٥٧٢)، الدر المصون (٢/ ٥١٨)، اللباب في علوم الكتاب (٤/ ٢٦٦).

(٢) معاني القرآن (١/ ٣٢٧)، وانظر: تأويلات أهل السنة (٢/ ٢٢٣).

(٣) الدر المصون (٢/ ٥١٨).

فالإخراج حاصل لهم من الديار والأبناء.

قال الطبري: "فإنه يعني: وقد أخرج من غلب عليه من رجالنا ونسائنا من ديارهم وأولادهم ومن سبي. وهذا الكلام ظاهره العموم، وباطنه الخصوص؛ لأن الذين قالوا لنبيهم: ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كانوا في ديارهم وأوطانهم، وإنما كان أخرج من داره، وولده من أسر، وقهر منهم"[(١)].

قال السمرقندي: "يعني أخذوا ديارنا وسبوا أبناءنا"[(٢)].

وقال أبو حيان: "والقائل هذا لم يخرج، لكنه أخرج مثله، فكان ذلك إخراجًا له، ويمكن حمله على الظاهر؛ لأنَّ كثيراً منهم استولي على بلادهم، وأسر أبناؤهم، فارتحلوا إلى غير بلادهم التي كان منشؤهم بها، كما مر في قصتهم"[(٣)].

وهكذا قال المفسرون[(٤)].

وذهب أبو البقاء العكبري إلى أنَّ الآية على نسقها، لكن فيها حذفًا دلَّ عليه السياق، والتقدير: وقد أخرجنا من ديارنا وأبعدنا عن أبنائنا[(٥)].

ولا حاجة إلى التقدير، فهو خلاف الأصل -كما هو معلوم-، والمعنى قائم بدونه[(٦)].

ويبقى القول الذي ذهب إليه أكثر المفسرين -من أنهم أخرجوا من ديارهم وأبنائهم- هو أصح الأقوال في معنى الآية الكريمة؛ لوضوحه وعدم مخالفته قواعد أهل هذا الشأن.

---

(١) جامع البيان (٤/ ٤٤٦).

(٢) بحر العلوم (١/ ١٦٢).

(٣) البحر المحيط (٢/ ٥٧٢).

(٤) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٨١٧)، التفسير البسيط (٤/ ٣٢٠)، الوجيز للواحدي (ص:١٧٨)، تفسير السمعاني (١/ ٢٤٩)، أنوار التنزيل (١/ ١٥٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٦٦٥)، تفسير المنار (٢/ ٣٧٧)، تيسير الكريم الرحمن (ص:١٠٧)، التحرير والتنوير (٢/ ٤٨٧).

(٥) التبيان في إعراب القرآن (١/ ١٩٧)، وانظر: البحر المحيط (٢/ ٥٧٢)، الدر المصون (٢/ ٥١٨)، اللباب في علوم الكتاب (٤/ ٢٦٦).

(٦) انظر في رد هذا القول: التحرير والتنوير (٢/ ٤٨٧).

الموضع الرابع: قوله تعالىٰ:﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (آل عمران:٤٠).

موضع القلب عند من رآه، هو قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ قالوا: الآية من قبيل المقلوب: والمعنىٰ: وقد بلغت الكبر؛ لأن الإنسان هو الذي يبلغ الكبر دون العكس، وعلىٰ هذا جاء قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ (مريم:٨).

وكل شيءٍ صادَفته وبلغته، فقد صادفك وبلغك، وكان نسبةُ الفعلِ إلىٰ الكبر، كنسبته إلىٰ الرجل.والعرب تستعمل مثل هذا، فيقولون: بلغني الجهد، أي: أنا في الجهد.

وقد ذهب إلىٰ هذا أبو عبيدة وابن قتيبة والزجاج ومكي والواحدي والبغوي وابن الجوزي والسيوطي[(١)].

ولم يحك الطبري والواحدي والرازي سواه، ولم ينتقدوه بشيء[(٢)].

وقد انتقد هذا القول بمخالفته للقاعدة المعروفة، وهي: الأصل في الكلام كونه علىٰ انتظامه، قال السمين الحلبي: "وقيل: هو من المقلوب...ولا حاجة إليه"[(٣)].

وقد ذهب جمع من العلماء إلىٰ أنَّ المعنىٰ علىٰ ظاهر النصِّ، أي: أدركني كبر السن وأثر فيَّ[(٤)].

وإلىٰ هذا ذهب البيضاوي والنسفي وأبو حيان وأبو السعود والشوكاني والقاسمي[(٥)].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩٢)، تأويل مشكل القرآن (ص:١٢٣)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٠٨)، الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٢/ ١٠٠٦)، الوجيز للواحدي (ص:٢٠٩)، معالم التنزيل(٢/ ٣٥)، زاد المسير (١/ ٢٨٠)، تفسير الجلالين (ص:٧١)، حاشية الجمل علىٰ الجلالين(١/ ٢٨٥).

(٢) انظر: جامع البيان (٥/ ٣٨٢)، التفسير البسيط (٥/ ٢٣٤)، مفاتيح الغيب (٨/ ٢١٤).

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ١٥٩)، اللباب في علوم الكتاب (٥/ ٢٠٢).

وفي هذا الموضع لم يدون أبو حيان أيَّ انتقادٍ لهذا القول علىٰ خلاف عادته.

(٤) إرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣).

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٢/ ١٦)، مدارك التنزيل (١/ ٢٥٤)، البحر المحيط (٣/ ١٣٦)، إرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣)، فتح القدير (١/ ٣٨٧)، محاسن التأويل (٢/ ٣١٥).

قال أبو السعود: "أي: أدركني كبر السن، وأثَّر فيَّ، كقولهم: أدركته السن، وأخذته السن"[1].

وكأنَّ أرباب هذا القول يريدون أنَّ هذا من زكريا عليه السلام بيانٌ لتأثير الكبر فيه، وليس فقط بلوغه الكبر، وربما لا يتحصل هذا المعنىٰ من قوله: بلغت الكبر.

ولعل الراجح-إن شاء الله تعالىٰ- ما ذهب إليه الفريق الأول؛ لأنَّ هذا المعنىٰ جاء في الآية الأخرىٰ من سورة مريم-كما سبق- وخير ما فُسِّرَ به القرآن القرآن، والقلب إذا دلَّ عليه الدليل لا مانع من القول به، والله تعالىٰ أعلم.

الموضع الخامس: قوله تعالىٰ:﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الأعراف:١٠٥).

موضع القلب عند من قال به:﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾.

قالوا: في الآية قلبٌ، فالمعنىٰ: أن موسىٰ عليه السلام أراد أن يبلغ فرعون أنه حق عليه ألا يقول علىٰ الله إلا حقـًا، فالقول هو الحقيق عليه، بينما في الآية الكريمة جعل موسىٰ عليه السلام نفسه هو الحقيق علىٰ القول.

وبعبارة أوجز: المقصود:"قول الحق حقيق علي، فقلب اللفظ، فصار: أنا حقيق علىٰ قول الحق" [2].

يقول محمد رشيد رضا: "﴿ حَقِيقٌ عَلَى ﴾ علىٰ قراءة الجمهور، فقد جاء علىٰ غير المشهور عن العرب في هذه الكلمة إذ يقولون: أنت حقيق كذا، وأنت حقيق بأن تفعل كذا، كما يقولون: أنت جدير به، وخليق به، ولم ينقل عنهم استعماله بـ"علىٰ""[3].

وقبل الدخول في الكلام علىٰ هذا القول، تجدر الإشارة إلىٰ أنَّ هذه الآية -التي نحن بصددها- فيها قراءتان:

(١) إرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣).
(٢) الدر المصون (٥/ ٤٠٢)، وانظر: حاشية زاده علىٰ البيضاوي(٤/ ٢٦٨).
(٣) تفسير المنار (٩/ ٣٨).

- قراءة نافع: "حَقِيقٌ عَلَيَّ"[١].

- والقراءة المشهورة قراءة الجمهور: ﴿حَقِيقٌ عَلَى﴾.

وقراءة نافع لا إشكال فيها، ومعناها بيِّنٌ واضح، أي: يلزمني وواجب علي ألَّا أقول علىٰ ربي تعالىٰ إلا الحق.

وأما علىٰ قراءة الجمهور، فمعناها مستشكل عند أكثر المفسرين، ومن ثمَّ، فقد تباينت عباراتهم في توجيه الآية الكريمة، فكانوا علىٰ أقوال عدة، أحدها:

ما ذُكِرَ قبل قليل منْ أنَّ الآيةَ علىٰ القلب.

وبهذا القول صدَّر الزمخشري الوجوه الممكنة لدفع الإشكال في الآية، وقدمه البيضاوي وأبو السعود[٢].

ويمكن تأييد هذا القول بقراءة نافع المذكورة، فمعناها آتٍ علىٰ هذا القول، وعليه؛ فتكون قراءة الجمهور -علىٰ القول بالقلب- موافقة لقراءة نافع، والقراءات يفسر بعضها بعضـًا، وهذا مما يقوي هذا القول.

قال السمين الحلبي:"وعلىٰ هذا الوجه تصير هذه القراءة كقراءة نافع في المعنىٰ، إذ الأصل: قول الحق حقيق علي، فقلب اللفظ فصار: أنا حقيق علىٰ قول الحق"[٣].

ويؤخذ علىٰ هذا القول ادعاء القلب، وأنه إخلال بنظام الكلام، ومتىٰ ما استقام المعنىٰ بدونه، فليس ثمة حاجة إلىٰ القول به.

وذهب الأكثر من المفسرين إلىٰ أنَّ الآية الكريمة علىٰ نسقها، وأنه لا قلب في الكلام، ثم اختلفوا في محمل الآية علىٰ أقوال خمسة، هي:

أولها: أنَّ علىٰ بمعنىٰ الباء، والمعنىٰ: حقيق بأن لا أقول علىٰ الله إلا الحق،

(١) انظر: السبعة في القراءات (ص:٢٨٧)، الحجة للقراء السبعة (٤/ ٥٦)، المبسوط في القراءات العشر (ص:٢١١).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٣/ ٢٦)، إرشاد العقل السليم (٣/ ٢٥٧).

(٣) الدر المصون (٥/ ٤٠٢).

قالوا: والأحرف ينوب بعضها عن بعض في المعنىٰ، وقد جاء الباء بمعنىٰ علىٰ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ (الأعراف:٨٦).أي: علىٰ كل صراط.

قال الفراء: "والعرب تجعل الباء في موضع "علىٰ" رميت علىٰ القوس، وبالقوس، وجئت علىٰ حال حسنة وبحال حسنة"[(١)].

ويكون معنىٰ حقيق محقوق.

وهذا القول مبني علىٰ القول بجواز تناوب الحروف في اللغة العربية، كما هو مذهب الكوفيين.

واحتجوا بأنَّ هذا المعنىٰ جاء في قراءة عبد الله: حقيق بأن لا أقول علىٰ الله[(٢)].

فهذه حجةٌ قويةٌ لهذا القول.

واختاره الأخفش اللغوي والسمعاني والبغوي والجلال السيوطي وابن عاشور[(٣)].

واعتمده ابن هشام في المغني[(٤)].

ونسبه غير واحد للفراء[(٥)]، وفي نسبته نظر؛ إذ لم يفصح باختياره لهذا القول.

ويناقش هذا القول بأن التناوب ممنوع، كما هو مذهب نحاة البصرة، وإن كانت هذه المسألة إحدىٰ المسائل التي اشتد النزاع فيها وعظم[(٦)].

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٨٦).

(٢) انظر هذه القراءة في التفسير البسيط (٩/ ٢٦٣)، تفسير السمعاني (٢/ ٢٠٢)، الجامع لأحكام القرآن(٧/ ٢٥٦)،.
ونسبها غير واحد لأبي كما في الجنىٰ الداني (ص:٤٧٨)، وقال:
"وقرأ أبي "بأن"، فكانت قراءته تفسيراً لقراءة الجماعة، وقالت العرب: اركب علىٰ اسم الله، أي: باسم الله". وانظر: شرح التسهيل لابن مالك (٣/ ١٦٥)، شرح الأشمونىٰ لألفية ابن مالك (٢/ ٩١)، همع الهوامع (٢/ ٤٤٠)، إرشاد العقل السليم (٣/ ٢٥٧)، فتح القدير (٢/ ٢٦٣).

(٣) انظر: معانىٰ القرآن للأخفش (١/ ٣٣٤)، تفسير السمعاني (٢/ ٢٠٢)، معالم التنزيل(٣/ ٢٦٢)، تفسير الجلالين (ص:٢٠٨)، التحرير والتنوير (٩/ ٣٩).

(٤) انظر: مغني اللبيب (ص:٨٦١)، الجنىٰ الداني (ص:٤٧٨).

(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ٤٠٢)، روح المعاني (٥/ ١٩)، التحرير والتنوير (٩/ ٣٩).

(٦) قال أبو العباس ابن تيمية في مقدمة في أصول التفسير (ص:١٨):
"والعرب تُضَمِّنُ الفعل معنىٰ الفعل، وتعديه تعديته، ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض...والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين".

لكن ذهب ابن هشام مذهبا حسنًا، وهو أنَّ بعض الحروف قد تنوب عن بعض[١].

وإذا ما قلنا بهذا سلم لنا هذا القول.

ثانيها: أن يُضَمَّن حَقِيقٌ معنىٰ حريص، أي: جدير وحريص علىٰ ألا أقول علىٰ الله إلا الحق.

وهذا ما قدمه أبو عبيدة[٢]، وهو جارٍ علىٰ ما قعده ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من تقديم التضمين.

وهذا القول أقوىٰ من سابقه؛ ففي التضمين معانٍ جديدة حسنة تلائم بلاغة كلام ربنا تبارك وتعالىٰ، لا تتأتىٰ هذه المعاني علىٰ القول بتناوب الحروف، ولهذا كان مذهب فقهاء أهل العربية[٣].

ولم يرتضه ابن عطية، فقال: "وفي هذا القول بُعْدٌ"[٤].

وغريبُ هذا منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأيُّ بُعْدٍ في هذا القول؟!!.

---

(١) عقد ابن هشام في مغني اللبيب (ص:٨٥٤) بابًا ترجم له بقوله: "في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها، وهي كثيرة، والذي يحضرني الآن منها عشرون موضعًا، ثم قال في(ص:٨٦١):

"الثالث عشر: قولهم: ينوب بعض حروف الجر عن بعض، وهذا أيضًا مما يتداولونه ويستدلون به، وتصحيحه بإدخال (قد) علىٰ قولهم: ينوب، وحينئذٍ، فيتعذر استدلالهم به، إذ كل موضع ادعوا فيه ذلك يقال لهم فيه: لا نسلم أن هذا مما وقعت فيه النيابة، ولو صحَّ قولهم لجاز أن يقال: مررت في زيد، ودخلت من عمرو، وكتبت إلىٰ القلم، علىٰ أن البصريين ومن تابعهم يرون في الأماكن التي ادعيت فيها النيابة أن الحرف باق علىٰ معناه، وأنَّ العاملَ ضُمِّنَ معنىٰ عامل يتعدىٰ بذلك الحرف؛ لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف".

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٢٤).

(٣) قال العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد (٢/ ٢١):

"وظاهرية النحاة-يعني: نحاة الكوفة- يجعلون أحد الحرفين بمعنىٰ الآخر، وأما فقهاء أهل العربية، فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنىٰ مع الحرف ومعنىٰ مع غيره، فينظرون إلىٰ الحرف وما يستدعي من الأفعال، فَيُشْرِبُوْنَ الفعلَ المتعدىٰ به معناه، هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ وطريقة حذاق أصحابه، يضمنون الفعل معنىٰ الفعل، لا يقيمون الحرف مقام الحرف، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ولطافة في الذهن".

(٤) المحرر الوجيز(٢/ ٤٣٥).

ثالثها: ما اختاره الزمخشري، وقال عنه: الأوجه الأدخل في نكت القرآن، وهو: أنَّ موسىٰ عليه السلام أغرق في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام -لا سيما- وأنَّ فرعون مكذب لموسىٰ عليه السلام في كونه رسولاً، فيقول: واجب عليَّ قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به، ولا يرضىٰ إلا بمثلي ناطقًا به[(1)].

قال ابن عاشور موضحًا هذا القول: "قال شارحوه: فالمعنىٰ: لو كان قول الحق شخصًا عاقلاً لكنت أنا واجبًا عليه أن لا يصدر إلا عني، وأن أكون قائله"[(2)].

ولاشك أن هذا معنىٰ بديع، لكنه لا يخالف سابقيه، ويمكن أن يضاف إليهما، وهو إلىٰ باب التضمين أقرب، علىٰ أنَّ الشيخ محمد رشيد يلمح فيه التكلف[(3)].

رابعها: أنَّ ما لزمك فقد لزمته، فلما كان قول الحق حقيقًا عليه كان هو حقيقًا علىٰ قول الحق، أي: لازمًا له[(4)].

خامسها: أن المعنىٰ: إنِّي رسولٌ حقيقٌ من رب العالمين، أرسلني علىٰ أن لا أقول عليه كذبًا، ولا أقول علىٰ الله إلا الحق.

فيكون في الآية تقدير، وهو أرسلت، وسببه: أن جملة:﴿عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ﴾ متعلقة بـ«رَسُولٌ» أي: رسولٌ: ﴿ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾، لكن رسول نعت بحقيق، ونحاة البصرة يقولون: إن العامل إذا أخذ نعته لا يعمل بعد ذلك، فلذا؛ يُقدّر عامل من جنس الرسول، فيكون المعنىٰ: إني رسول حقيق من رب العالمين علىٰ ألا أقول علىٰ اله إلا الحق.

وأيضًا: فيه تقديم وتأخير، «حقيق» أخرت وحقها التقديم.

وهذا مما يضعف هذا القول، وإن قال عنه العلامة الشنقيطي: «وهذا الوجه

(١) انظر: الكشاف (٢/ ١٣٨).

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣٩).

(٣) تفسير المنار (٩/ ٣٩).

(٤) انظر هذا القول في: الكشاف (٢/ ١٣٧)، أنوار التنزيل (٣/ ٢٦)، البحر المحيط (٥/ ١٢٨)، الدر المصون (٥/ ٤٠٢)، اللباب في علوم الكتاب (٩/ ٢٤٦)، إرشاد العقل السليم (٣/ ٢٥٧)، حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي (٤/ ٢٠٠).

واضح لا إشكال فيه، ليس فيه تعسف ولا تكلف، فلا ينبغي العدول عنه إلىٰ غيره، وإن قل من انتبه إليه من علماء التفسير"[١].

فالأصل عدم التقدير، وأيضـًا: عدم التقديم والتأخير، بل الكلام علىٰ نسقه ونظمه، والله تعالىٰ أعلم.

وأقوىٰ الأقوال القول بالتضمين، والقول بتناوب الحروف، ومعنىٰ الآية الكريمة علىٰ كلٍ منهما غاية في الوضوح، مع المحافظة علىٰ نسق الكلام، ولذا لم يذكر شيخ المفسرين سوىٰ هذين القولين[٢].

والقول بالتضمين أولىٰ لما سبق، والعلم عند الله تعالىٰ.

الموضع السادس: قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (الأعراف:١٥٤).

موضع القلب: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾.

قالوا: جاءت الآية علىٰ القلب، والمعنىٰ: ولما سكت موسىٰ عن الغضب؛ والذي يسكت صاحب الوصف، وليس الوصف.

وقد نسبه غير واحد من المفسرين لعكرمة مولىٰ ابن عباس رضي الله عنه [٣].

ولم يرتض أهل العلم هذا؛ لأن المعنىٰ قائم بدون ادعاء القلب، فلا حاجة إليه، قال ابن عادل:

" وهذا ينبغي أنْ لا يجوز لعدم الاحتياج إليه، مع ما في القلب من الخلافِ المتقدِّم"[٤].

وقد اختار أكثر المفسرين عدم القلب، وأنَّ الكلام علىٰ نظمه، والمعنىٰ: ولما

(١) العذب النمير (٤/ ٧٢).

(٢) انظر: جامع البيان (١٠/ ٣٤٢).

(٣) انظر: التفسير البسيط (٩/ ٣٨٢)،مفاتيح الغيب(١٥/ ٣٧٤)، الجامع لأحكام القرآن(٧/ ٢٩٣)، اللباب في علوم الكتاب(٩/ ٣٢٩)، وذكره كثير من المفسرين من غير عزو لعكرمة.

(٤) اللباب في علوم الكتاب (٩/ ٣٢٩)، وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٠٧)، البحر المحيط (٥/ ١٨٥)، الدر المصون (٥/ ٤٧٢).

سكن وكفَّ عن موسىٰ الغضب، قال أبو عبيدة مَعْمَرُ بنُ المثنىٰ:

"أي: سكن؛ لأنَّ كُلَّ كافٍ عن شيء فقد سكت عنه، أي: كفّ عنه وسكن"[١].

قالوا: وجاء التعبير الرباني بإضافة السكوت للغضب مع كونه وصفًا؛ لإفادة معنىٰ بلاغي لا يظهر بإضافة السكوت لموسىٰ عليه السلام، وهذا من بلاغة كلام ربنا جَلَّ وَعَلَا، ولعل أول من بحث هذا المعنىٰ شيخ البلاغيين الزمخشري، حيث قال:

" هذا مثل، كأنَّ الغضبَ كانَ يغريه علىٰ ما فعلَ، ويقولُ له: قلْ لِقومك كذا، وأَلْقِ الألواحَ، وجُرَّ برأس أخيك إليك، فتركَ النطقَ بذلك، وقطعَ الإغراء، ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك، ولأنه من قبيل شعب البلاغة، وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة[٢]: ولما سكن عن موسىٰ الغضب[٣]، لا تجدُ النفسُ عندها شيئًا من تلك الهمزة، وطرفًا من تلك الروعة"[٤].

وبهذا قال: ابن قتيبة والطبري والثعلبي ومكي والسمعاني والبغوي وابن عطية والقرطبي وابن جزي والشوكاني ومحمد رشيد وغيرعم[٥].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٢٢٩)، وكذا قال شيخ المفسرين ابن جرير في جامع البيان (١٠/ ٤٦٦).

(٢) معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني، أبو إياس القاضي المشهور، لقي من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم كثيراً، منهم خمسة وعشرون رجلاً من مزينة، وثقة يحي والعجلي والنسائي، وروىٰ له الجماعة، مات سنة ثلاث عشرة ومائة.

انظر ترجمته ومصادرها في: تهذيب الكمال (٢٨/ ٢١٠)، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٣).

(٣) تعد هذه القراءة من الشواذ، وقد ذكرها جمع من المفسرين، انظر هذه القراءة في: تفسير السمعاني (٢/ ٢١٩)، المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٩)، الجامع لأحكام القرآن(٧/ ٢٩٢)، الدر المصون (٥/ ٤٧١)، اللباب في علوم الكتاب (٩/ ٣٢٩)، حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (٤/ ٢٢١).

(٤) الكشاف (٢/ ١٦٣)، وانظر: التفسير البسيط (٩/ ٣٨١)، لباب التأويل (٢/ ٢٥٤)، التحرير والتنوير (٩/ ١٢٢).

(٥) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص:١٤٩)، جامع البيان (١٠/ ٤٦٦)، الكشف والبيان (٤/ ٢٨٧)، الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٤/ ٢٥٧٦)، تفسير السمعاني (٢/ ٢١٩)، معالم التنزيل (٣/ ٢٨٥)، المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٩)، الجامع لأحكام القرآن(٧/ ٢٩٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣٠٣)، فتح القدير (٢/ ٢٨٥)، تفسير المنار (٩/ ١٨٤).

قال الخازن مرجحـًا هـذا القـول:" والقـول الأول أصـح؛ لأنَّـه قـولُ أهـلِ اللغـةِ والتفسيرِ"[١].

وكذا قال الواحدي[٢].

قال الزجاج: "والقول الذي معناه سكن قول أهل العربية"[٣].

وهذا القول هو الراجح -إن شاء الله تعالىٰ-.

الموضع السابع: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٨٩).

موضع القلب عند من رآه: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ قالوا: معنىٰ الآية: فمر بها أي: استمر ودام الحمل، فأسند المرور إلىٰ حواء، وفي حقيقته للحمل، فهو الذي مرَّ بها، وهذا هو القلب[٤].

وكأنَّ هذا يفهم من كلمة أبي عبيدة حيث قال: "مجازه: استمرّ بها الحمل، فأتمَّته"[٥].

فأضاف الاستمرار إلىٰ الحمل لا إلىٰ حواء.

ونسبه مكي لأبي حاتم السجستاني[٦].

---

(١) لباب التأويل (٢/ ٢٥٤).

(٢) التفسير البسيط (٩/ ٣٨١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٩)، وانظر: زاد المسير (٢/ ١٥٨).

(٤) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٢٣٨)، المحرر الوجيز (٢/ ٤٨٦)، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٣٨)، البحر المحيط (٥/ ٢٤٦)، الدر المصون (٥/ ٥٣٣)، اللباب في علوم الكتاب (٩/ ٤١٧).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٣٦).

(٦) انظر: الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٤/ ٢٦٧٠).

وأبو حاتم، هو: سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم، السجستاني، البصري، اللغوي، صاحب التصانيف، تصدر للإقراء والحديث والعربية، وتخرج به أئمة، وكان جماعة للكتب، وله باع طويل في: اللغات، والشعر، والعروض، وقيل: لم يكن ماهراً بالنحو، مات في آخر سنة خمس وخمسين ومائتين.

=

وعزاه الآلوسي للنقاد[1].

وذهب الجمهور من المتقدمين والمتأخرين إلىٰ أنَّ الآية علىٰ نسقها، ومعناها: استمرت بالحمل، حتىٰ قطعت فترته، وكان خفيفًا، فقامت وقعدت، ولم يثقلها.

"وحقيقة المرور: الاجتياز، ويستعار للتغافل وعدم الاكتراث للشيء...

فمعنىٰ ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾: لم تتفطن له، ولم تفكر في شأنه، وكل هذا حكاية للواقع"[2].

وعليه؛ فلا قلب في الآية الكريمة، إذ المعنىٰ بين واضح، فأي حاجة للقول بالقلب.

قال مجاهد: استمرت بحمله[3].

قال الرازي: " أي استمرت بالماء والحمل علىٰ سبيل الخفة، والمراد أنها كانت تقوم وتقعد وتمشي من غير ثقل"[4].

وهكذا قال الحسن[5] وإبراهيم النخعي[6] ومقاتل بن سليمان[7].

وبه قال الفراء وابن قتيبة والطبري والزجاج والسمرقندي والثعلبي والواحدي والسمعاني والبغوي والزمخشري وابن الجوزي والرازي والبيضاوي والخازن والسعدي وغيرهم[8].

=

انظر: معجم الأدباء (٣/ ١٤٠٦)، إنباه الرواة (٢/ ٥٨)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٨).

(١) روح المعاني (٥/ ١٢٩).

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٢١٢).

(٣) تفسير مجاهد (ص:٣٤٨)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٢).

(٤) مفاتيح الغيب (١٥/ ٤٣٠).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٠٨)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٢).

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٢).

(٧) انظر:تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٩).

(٨) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٤٠٠)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص:١٥١)، جامع البيان (١٠/ ٦١٨)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٩٥)، بحر العلوم (١/ ٥٧٤)، الكشف والبيان (٤/ ٣١٤)، التفسير البسيط (٩/ ٥١١)، تفسير السمعاني (٢/ ٢٣٨)، معالم التنزيل (٣/ ٣١١)، الكشاف (٢/ ١٨٦)، زاد المسير (٢/ ١٧٧)، مفاتيح الغيب (١٥/ ٤٣٠)،أنوار التنزيل (٣/ ٤٥)، لباب التأويل (٢/ ٢٨٠).

وقيل: هو من المرية، أي شكت[1].

وهذا غير صحيح؛ لأن القراءة بتشديد الراء من المرور، وليس من المرية بتخفيف الراء، وهذا التفسير يتأتىٰ علىٰ ما ذكر عن ابن عباس أنه قرأها بالتخفيف:"فَمَرَت به"[2].

لكنها قراءة شاذة.

الموضع الثامن والتاسع: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس:٢٤).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾(الكهف:٤٥).

موضع القلب عند من رآه ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾، قالوا: المعنىٰ: فاختلط الماء بنبات الأرض، فالمختلط الماء، والمختلط به نبات الأرض، وهذا عكس منطوق الآية الكريمة.

قالوا: وجه صحته: أنَّ المتداخلين كل منهما مختلط ومختلط به، فيصح إسناد الاختلاط إلىٰ كل منهما، لكن اللغة تقضي أنَّ الأكثر هو المختلط به، فتدخل عليه الباء، بينما الأقل هو المختلط، وفي الآية جاء الأمر علىٰ القلب؛ لفائدة بليغة -جاز من أجلها القلب-، وهي: الإشارة إلىٰ كثرة الماء حتىٰ كأنَّه الأصل الكثير.

وهذا مذهب الزجاج[3]، وحكاه جمع من المفسرين مجوزينه كمعنىٰ للآية

---

(١) انظر: جامع البيان (١٠/ ٦١٩)، الكشاف (٢/ ١٨٦)، المحرر الوجيز (٢/ ٤٨٦)، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٣٨)، روح المعاني (٥/ ١٢٩)، تيسير الكريم الرحمن (ص:٣١١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٣٨)، الدر المصون (٥/ ٥٣٣)، إرشاد العقل السليم (٣/ ٣٠٣)، البحر المحيط (٥/ ٢٤٦).

ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٧٧) والسمين في الدر المصون إلىٰ أبي العالية، وأيوب، ويحيىٰ بن يعمر.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٩١).

الكريمة، من غير أن ينتقدوه كما في غيره من المواطن التي قيل فيها القلب[1].

لكن يبقىٰ القول بالقلب منتقداً؛ إذ كان من غير ضرورة داعية له، ولهذا حكاه بعض المفسرين بصيغة التمريض[2].

وذهب جمعٌ من المفسرين إلىٰ أنَّه لا قلب في الآية الكريمة، بل هي علىٰ نسقها، والمعنىٰ علىٰ ظاهر النص: كماء أنزلناه من السماء، فاختلط بهذا الماء نبات الأرض.

وهذا مذهب الطبري والسمرقندي ومكي والقرطبي والخازن وأبو حيان والشوكاني[3].

قال أبو حيان: "والظاهر أن النبات اختلط بالماء، ومعنىٰ الاختلاط: تشبثه به، وتلقفه إياه، وقبوله له؛ لأنه يجري له مجرىٰ الغذاء، فتكون الباء للمصاحبة، وكل مختلطين يصح في كل منهما أن يقال: اختلط بصاحبه، فلذلك فسره بعضهم بقوله: خالطه الماء وداخله، فغذىٰ كل جزء منه"[4].

ويحتمل أن تكون الباء للتعدية، ولم يرتضه ابن عاشور، وقال:"وليست الباء لتعدية فعل فاختلط إلىٰ المفعول؛ لعدم وضوح المعنىٰ عليه"[5].

واختار آخرون أن الآية علىٰ نسقها، لكن الباء سببية، والمعنىٰ: كماء أنزلناه من السماء، فاختلط بسببه النبات بعضه ببعض، ونما وكثر وحسن للناظرين، فالآية تنص علىٰ أن الماء سبب لحياة الأرض.

وممن ذهب إليه: الواحدي والزمخشري وابن عطية وابن الجوزي وابن جزي

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب (٢١/ ٤٦٧)، أنوار التنزيل (٣/ ٢٨٣)، إرشاد العقل السليم (٥/ ٢٢٥)، حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (٦/ ١٠٤)، روح المعاني (٨/ ٢٧١)، إعراب القرآن وبيانه (٥/ ٦١٩).

(٢) كالزمخشري والشوكاني انظر: الكشاف (٢/ ٧٢٥)، فتح القدير (٣/ ٣٤٣).

(٣) انظر: جامع البيان (١٥/ ٢٧٢)، بحر العلوم (٢/ ٣٤٩)، الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٦/ ٤٣٩٢)، الكشاف (٢/ ٧٢٥)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤١٢)، لباب التأويل (٢/ ٤٣٧)، فتح القدير (٣/ ٣٤٣).

(٤) البحر المحيط (٦/ ٣٧).

(٥) التحرير والتنوير (١٥/ ٣٣١).

والسيوطي وأبو السعود والآلوسي وابن عاشور[١].

ويؤيد هذا القول أن الله جل شأنه ذكر هذا المعنىٰ، -وهو كون الماء سبباً في إخراج النبات- في آيات كثيرات، منها: ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا ﴾ (البقرة:٢٢) ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام:٩٩) ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ (النحل:٦٥) ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ (الحج:٦٣).

كما أن الإخبار باختلاط النبات بالماء لا ينتج عنه كبير فائدة، بخلاف ما إذا حملنا الباء علىٰ السببية، ففيها -زيادة علىٰ أنَّ الماء سبب للحياة- تذكير للعباد بحياتهم بعد موتهم.

والراجح -إن شاء الله تعالىٰ- أنَّ الآية علىٰ نظمها، وألا قلب فيها، لما عرفنا من كونه خلاف الأصل، والأرجح كون الباء للسببية؛ لظهور المعنىٰ علىٰ هذا القول. والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

الموضع العاشر: قال الله تعالىٰ: ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ (هود:٢٨).

موطن القلب عند من رآه: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ قالوا: الآية من قبيل المقلوب، والمعنىٰ: أنهم عموا عن الرحمة؛ لأنَّ الرحمة لا تعمىٰ، وإنما يُعمىٰ عنها[٢].

واختاره الفراء والطبري والسمعاني[٣].

---

(١) انظر: التفسير البسيط (١٤/ ٣٣)، الكشاف (٢/ ٧٢٥)، المحرر الوجيز (٣/ ٥١٩)، زاد المسير (٢/ ٣٢٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٦٧)، تفسير الجلالين (ص:٣٨٧)، إرشاد العقل السليم (٥/ ٢٢٤)، روح المعاني (٨/ ٢٧١)، التحرير والتنوير (١٥/ ٣٣١).

(٢) انظر: التفسير البسيط (١١/ ٣٩٩)، المحرر الوجيز (٣/ ١٦٤)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٥)، اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٤٧١)،

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢)، جامع البيان (١٢/ ٣٨٢)، تفسير السمعاني (٢/ ٤٢٤).

وذكره أبو علي الفارسي[1] وابن عطية احتمالاً[2].

يقول الفراء: "وسمعت العرب تقول: قد عُمِّيَ علي الخبر وعَمِيَ عليَّ بمعنىٰ واحد، وهذا مما حولت العرب الفعل إليه وليس له، وهو في الأصل لغيره، ألا ترىٰ أنَّ الرجل [هو][3] الذي يَعمىٰ عن الخبر أو يُعمَّىٰ عنه، ولكنه في جوازه مثل قول العرب: دخل الخاتم في يدي، والخف في رجلي، وأنت تعلم أن الرِجْلَ التي تدخل في الخف، والأصبع في الخاتم، فاستخفوا بذلك إذا كان المعنىٰ معروفـًا لا يكون لذا في حال، ولذا في حال إنما هو لواحد، فاستجازوا ذلك لهذا"[4].

وقد انتقد هذا القول بأنَّه خلاف الأصل، فقد سبق أنَّ الأصلَ كون الكلام علىٰ نسقه، فالمعنىٰ واضح والكلام مستقيم النظم والمعنىٰ، فلا حاجة للقول به، وليس كلُّ ما جاز في العربية صحَّ استعماله في كتاب الله تعالىٰ.

وأيضـًا- يقال في نقد هذا القول-: لو كانت الآية علىٰ القلب لعدي الفعل بعن دون علىٰ، ألا ترىٰ أنَّك تقول: عميت عن كذا، ولا تقول: عميت علىٰ كذا؟[5].

فهذا مما يضعف القول بالقلب.

واختار أكثر المفسرين أنَّ الآيةَ لا قلبَ فيها، وأنَّ الكلام علىٰ نظمه، ومعنىٰ الآية الكريمة: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أي أخفيت، والمخفي لها الله تعالىٰ، وبُنيَ الفعل لما لم يسم فاعله؛ للعلم بالفاعل جل شأنه، وقد أخفاها الله عنهم لما لم يكونوا أهلاً لها.

وفي قراءة أبيٰ: فعماها عليكم[6]، أي أخفاها الله عنكم.

---

(١) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، كان من أئمة النُّحَاة المشهورين بالفضل والنُّبْل، ومصنفاته كثيرة نافعة، لم يسبق لمثلها، وكان فيه اعتزال، توفي في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة.
انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٢١٧)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٨٠) تاريخ الإسلام (٩/ ٥٧٨).

(٢) انظر: الحجة للقراء السبعة (٤/ ٣٢٢)، المحرر الوجيز (٣/ ١٦٤).

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢)، وكذا قال الطبري في جامع البيان (١٢/ ٣٨٢).

(٥) أفاده أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ١٤٣)، ونقله السمين في الدر المصون (٦/ ٣١٤) والآلوسي في روح المعاني (٦/ ٢٣٩) ولم يتعقبه بشيء، قال الشهاب في حاشيته علي تفسير البيضاوي (٥/ ٩٠): "وأمّا ادعاء القلب، وأنَّ أصله عميتم عنها، فيأباه ذكر علىٰ دون عن، مع أنه ليس بحسن هنا".

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢)، التفسير البسيط (١١/ ٤٠١)، الكشاف (٢/ ٣٨٩)، إرشاد العقل =

وهذه القراءة- وإن كانت شاذة- فهي تؤيد هذا المعنىٰ، وتشد من عضده، -لاسيما- والقول هذا موافق للأصل الأصيل الذي أصله أهل العلم وقعدوه، ألا وهو: الأصل في الكلام كونه علىٰ نظمه.

وأيضـًا: أنَّ هذا التعبير جاء في آية أخرىٰ مسنداً فيه العماء للأنباء، وهو معنىٰ كالرحمة، قال تعالىٰ: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ (القصص:٦٦).

قال ابن كثير: "أي:خفيت عليكم، فلم تهتدوا إليها، ولا عرفتم قدرها، بل بادرتم إلىٰ تكذيبها وردها"[١].

وإلىٰ هذا القول ذهب الزجاج ومكي والواحدي والبغوي والزمخشري والرازي والقرطبي والبيضاوي وابن جزي والخازن وأبو حيان والسمين الحلبي والسيوطي وأبو السعود والآلوسي والسيد رشيد رضا[٢].

قال الشيخ رشيد رضا: "والتعبير (بعميت) مخففة ومشددة أبلغ من التعبير بخفيت وأخفيت؛ لأنه مأخوذ من العمىٰ المقتضي لأشد أنواع الخفاء"[٣].

وهذا القول هو الراجح-إن شاء الله تعالىٰ-.

ويرد تساؤل قد أثاره من قال بالقلب في الآية الكريمة، وهو: أنَّ البينة أو الرحمة لا توصف بالعماء، ولم يغفل الجمهور هذا الإيراد بل أجابوا عنه، يقول الزمخشري:

"فإنْ قلتَ: فما حقيقته؟ قلت: حقيقته أنَّ الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء؛ لأنَّ الأعمىٰ لا يهتدي ولا يهدي غيره، فمعنىٰ فعميت عليكم البينة

=

السليم ظ(٤/ ٢٠١)، روح المعاني (٦/ ٢٣٩).

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٨)، الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٥/ ٣٣٧٨)، الوجيز للواحدي (ص:٥١٨)، معالم التنزيل (٤/ ١٧١)، الكشاف (٢/ ٣٨٩)، مفاتيح الغيب (١٧/ ٣٣٨)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٥)، أنوار التنزيل (٣/ ١٣٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣٦٩)، لباب التأويل (٢/ ٤٨١)، البحر المحيط (٦/ ١٤٣)، الدر المصون (٦/ ٣١٣)، تفسير الجلالين (ص:٢٨٨)، إرشاد العقل السليم (٤/ ٢٠١)، روح المعاني (٦/ ٢٣٩)، تفسير المنار (١٢/ ٥٥).

(٣) تفسير المنار (١٢/ ٥٥).

فلم تهدكم، كما لو عمىٰ علىٰ القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد"[1].

الموضع الحادي عشر: قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (الرعد:٣٨).

موضع القلب عند من رآه ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾.

ذهب بعض المفسرين إلىٰ أن المعنىٰ: لكل كتاب[2] أنزله الله أجل، ومعنىٰ هذا: أنَّ الآية علىٰ القلب، كما نص عليه غير واحد من المفسرين[3].

ويُعدُّ الضحاك أول من ذهب إلىٰ هذا القول[4]، وتابعه مقاتل بن سليمان والفراء[5].

وهذا القول خلاف الأصل ولا دليل عليه، والمعنىٰ قائم بدونه، وقد تصدىٰ له أبو حيان رحمه الله، فقال:

"وقال الضحاك والفراء: المعنىٰ لكل كتاب أجل، ولا يجوز ادعاء القلب إلا في ضرورة الشعر، وأما هنا فالمعنىٰ في غاية الصحة بلا عكس ولا قلب، بل ادعاء القلب هنا لا يصح المعنىٰ عليه، إذ ثَمَّ أشياء كتبها الله تعالىٰ أزلية كالجنة ونعيم أهلها، لا أجل لها"[6].

قال ابن جزي: "المعنىٰ صحيح من غير عكس"[7].

ولذا؛ فقد اختار أكثر المفسرين أنَّ الآية علىٰ نسقها، فلا قلب فيها، ومعناها:

---

(١) الكشاف (٢/ ٣٨٩)، وانظر: مفاتيح الغيب (١٧/ ٣٣٨)، الدر المصون (٦/ ٣١٤)، إرشاد العقل السليم (٤/ ٢٠١)، روح المعاني (٦/ ٢٣٩).

(٢) ويكون المراد بالكتاب خصوص الكتب المنزلة من ربنا تبارك وتعالىٰ، انظر: مفاتيح الغيب (١٩/ ٥٠)، لباب التأويل (٣/ ٢٢).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٥/ ٢٩٦)، التفسير البسيط (١٢/ ٣٧٦)، مفاتيح الغيب (١٩/ ٥٠)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٠٦)، البحر المحيط (٦/ ٣٩٧).

(٤) انظر: أثر الضحاك في جامع البيان (١٣/ ٥٥٩).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٨٣)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٦٥)، التفسير البسيط (١٢/ ٣٧٦).

(٦)البحر المحيط (٦/ ٣٩٧).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٠٦).

لكل أجل أجله الله كتاب قد كتبه الله تعالىٰ.

قال الواحدي: "هذا معنىٰ قول أكثر المفسرين"[(١)].

وممن ذهب إلىٰ هذا الطبري والنحاس والسمرقندي ومكي والسمعاني والبغوي والقرطبي وابن جزي والخازن وأبو حيان وابن كثير والجلال السيوطي والآلوسي وغيرهم[(٢)].

فهذا القول هو الراجح -إن شاء الله تعالىٰ-، فالمعنىٰ بينٌ واضح لا نحتاج معه إلىٰ قلب، ومتىٰ كان الأمر كذلك لم نلجأ إلىٰ القلب.

الموضع الثاني عشر: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ (الكهف: ١٠٠).

قال بعضهم: في هذه الآية الكريمة قلب، والتقدير: وعرضنا الكافرين علىٰ جهنم عرضاً.

ولم أر من ذهب إلىٰ هذا القول صريحاً، ولا من نسب إليه، سوىٰ ما قاله أبو حيان: " وأبعد من ذهب إلىٰ أنه مقلوب، والتقدير: وعرضنا الكافرين علىٰ جهنم عرضاً"[(٣)].

ولا وجه لهذا القول، فإن المعنىٰ تام بدونه، مع مخالفته لما ذهب إليه أهل التفسير، ولهذا لم يُنقل خلاف في معنىٰ الآية الكريمة، قال ابن جرير شارحاً الآية الكريمة:

"وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور، فأظهرناها للكافرين بالله، حتىٰ يروها، ويعاينوها كهيئة السراب".

ثم قال: "وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"[(٤)].

---

(١) التفسير البسيط (١٢/ ٣٧٦).

(٢) انظر: جامع البيان (١٣/ ٥٥٨)، إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٢٥)، بحر العلوم (٢/ ٢٣١)، الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٥/ ٣٧٥٢)، تفسير السمعاني (٣/ ٩٩)، معالم التنزيل (٤/ ٣٢٤)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٢٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٠٦)، لباب التأويل (٣/ ٢٢)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٨)، تفسير الجلالين (ص:٣٢٨)، روح المعاني (٧/ ١٥٩).

(٣) البحر المحيط (٧/ ٢٢٩).

(٤) جامع البيان (١٥/ ٤١٩).

وصدق رَحِمَهُ اللهُ فلم أجد في كتب التفسير خلاف ما قاله رَحِمَهُ اللهُ [(١)].

وأيضـًا: لم يذكره العلماء المعتنون بنقل خلاف أهل التفسير إن وجد[(٢)].

الموضع الثالث عشر: قال الله تعالىٰ:﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الأنبياء:٣٧).

الموضع الذي فيه القلب–عند من رآه–: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ قالوا: الآية علىٰ القلب، أي: خلق العجل من الإنسان.

قال أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ:"مجازه مجاز خلق العجل من الإنسان، وهو العجلة، والعرب تفعل هذا، إذا كان الشيء من سبب الشيء بدأوا بالسبب"[(٣)].

ويعني قوله هذا: أنَّ الآية علىٰ القلب، كما نصَّ علىٰ هذا جمع من المفسرين، منهم الثعلبي وابن عطية والرازي والقرطبي والسمين الحلبي والشوكاني[(٤)].

والمعنىٰ: خلقت العجلة –التي هي ضد التأني، وهي طلب الشيء قبل أوانه، وتحريه قبل وقته–، في الإنسان.

هذا معنىٰ هذا القول، قال ابن قتيبة: "أي: خُلقتْ العجلةُ في الإنسان، وهذا من المقدم والمؤخر"[(٥)].

أي من المقلوب الذي سببه تقديم لفظة وتأخير أخرىٰ.

فهو مذهب ابن قتيبة أيضـًا، ونسب لشيخ العربية أبي عمرو ابن العلاء[(٦)].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣١٣)، تأويلات أهل السنة (٧/ ٢١٠)، الكشف والبيان (٦/ ٢٠٠)، الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٦/ ٤٤٧٧)، معالم التنزيل(٥/ ٢٠٩)، الكشاف (٢/ ٧٤٩).

(٢) انظر: النكت والعيون (٣/ ٣٤٦)، التفسير البسيط (١٤/ ١٦٠)، زاد المسير (٣/ ١١١)، مفاتيح الغيب (٢١/ ٥٠٠)، روح المعاني (٨/ ٣٦٥).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٣٨).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٦/ ٢٧٥)، المحرر الوجيز (٤/ ٨٢)، مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٤٤)، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٨٩)، الدر المصون (٨/ ١٥٦)، فتح القدير (٣/ ٤٨١).

(٥) غريب القرآن (ص:٢٤٤)، وانظر: تأويل مشكل القرآن (ص:١٢٥).

(٦) نسبه إليه: القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٨٩)، والآلوسي في روح المعاني (٩/ ٤٧).

أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي، ثم المازني، البصري، شيخ القراء والعربية، مولده: =

وذكروا في هذا قراءة عبد الله: «وخلق العجل من الإنسان»[١].

وسبب هذا القول عندهم: -إضافة إلىٰ أن هذا القلب أسلوب معروف عند العرب- أنَّ العجلة صفة الإنسان، ولا توجد الصفة سابقة للإنسان، فلما خلق الإنسان كانت العجلة، فلهذا الآية عندهم علىٰ القلب.

وهذا ما أبداه الحارث المحاسبي[٢]، وهو ممن ذهب إلىٰ هذا القول[٣].

وقد انتقد هذا القول انتقاداً شديداً؛ لأمور ثلاثة، هي:

أولها: أنَّ القلب لا يلجأ إليه إلا لضرورة، ولا ضرورة ههنا، وفي هذا ردٌّ لما ادعوه من وروده في اللسان العربي، فما كل ما ورد في اللغة حمل عليه كتاب الله تعالىٰ.

قال أبو حيان:" ليس قوله بجيد؛ لأنَّ القلبَ الصحيح فيه أن لا يكون في كلام فصيح، وإنَّ بابه الشعر"[٤].

قال الرازي: "وأبعد الأقوال هذا القلب؛ لأنه إذا أمكن حمل الكلام علىٰ معنىٰ صحيح، وهو علىٰ ترتيبه، فهو أولىٰ من أن يحمل علىٰ أنه مقلوب"[٥].

=

في نحو سنة سبعين، اختلف في اسمه، فقيل: اسمه كنيته، وقيل: اسمه زبّان، قال أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالقراءات، والعربية، والشعر، وأيام العرب، وكانت دفاتره ملء بيت إلىٰ السقف، ثم تنسك، فأحرقها، قال إبراهيم الحربي وغيره: كان أبو عمرو من أهل السنة، وذكر غير واحد أن فاته كانت في سنة أربع وخمسين ومائة.

انظر: طبقات النحويين واللغويين (ص:٣٥)، إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة (٤/ ١٣٣)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٧).

(١) انظر: البحر المحيط (٧/ ٤٣٠)، اللباب في علوم الكتاب (١٣/ ٥٠٠).

(٢) الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله الزاهد البغدادي، أحد الأئمة المشهورين، كان عالمـًا فهمـًا، قال الذهبي: المحاسبي كبير القدر، وقد دخل في شيء يسير من الكلام، فنقم عليه، وورد: أن الإمام أحمد أثنىٰ علىٰ حال الحارث من وجه، وحذر منه، قال أبو زرعة -وقد سئل عن المحاسبي وكتبه-: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر تجد غنية، هل بلغكم أن مالكـًا والثوري والأوزاعي صنفوا في الخطرات والوساوس؟ ما أسرع الناس إلىٰ البدع، مات: سنة ثلاث وأربعين ومائتين.

انظر: تهذيب الكمال (٥/ ٢٠٨)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ١١١).

(٣) انظر: فهم القرآن (ص:٤٨٥)، وقارنه بما في البحر المحيط (٧/ ٤٣٠).

(٤) البحر المحيط (٧/ ٤٣٠).

(٥) مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٤٥).

ومن هذا الوجه ردَّه أيضـًا النحاس والواحدي والآلوسي[1].

ثانيها: أن في الآية الكريمة إظهاراً لشدة عجلة الإنسان، فلا يظهر هذا المعنىٰ علىٰ هذا القول، وسيأتي مزيد إيضاح له-بحول الله تعالىٰ وقوته-.

قال ابن عطية: "وهذا التأويل ليس فيه مبالغة، وإنَّما هو إخبار مجرد"[2].

ثالثها: أن إجماع أهل التأويل علىٰ خلاف هذا القول.

قال ابن جرير الطبري: "وفي إجماع أهل التأويل علىٰ خلاف هذا القول الكفاية المغنية عن الاستشهاد علىٰ فساده بغيره"[3].

وذهب أكثر المفسرين إلىٰ أنَّ الآية الكريمة علىٰ نسقها، فلا قلب فيها، ولا تقديم ولا تأخير، غير أن لهم في فهمها أقوالاً ثلاثة:

أولها: أنَّ الآية جاءت علىٰ المبالغة في وصف الإنسان، والمعنىٰ: خلق الإنسان شديد الاستعجال، حتىٰ كأنَّ ذاته مخلوقة من نفس العجلة، دلالة علىٰ شدة اتصاف الإنسان بها، وأنها مادته التي أخذ منها.

قالوا: والعرب تقول للذي يكثر منه الشيء: خلقت منه، كما تقول العرب: خلقت في لعب، وخلقت من غضب، يراد المبالغة في وصفه بذلك[4].

قال ابن جني[5]: "والأحسن أن يكون تقديره: خلق الإنسان من العجلة؛ لكثرة فعله إياه واعتماده له، وهو أقوىٰ في المعنىٰ من القلب؛ لأنه أمر قد اطرد واتسع،

---

(١) انظر: التفسير البسيط (١٥/ ٧٧)، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٨٩)، روح المعاني (٩/ ٤٧).

(٢) المحرر الوجيز (٤/ ٨٢).

(٣) جامع البيان (١٦/ ٢٧٤).

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٩٢)، تفسير السمعاني (٣/ ٣٨٠)، معالم التنزيل (٥/ ٣١٩)، الدر المصون (٨/ ١٥٧).

(٥) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وصنّف في ذلك كتبا أبرّ بها علىٰ المتقدمين وأعجز المتأخرين، وصحب أبا الطيب دهرا طويلا وشرح شعره ونبه علىٰ معانيه وإعرابه.
كان جني أبوه مملوكـًا روميـًا، مات لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.
انظر: يتيمة الدهر (١/ ١٣٧)، معجم الأدباء (٤/ ١٥٨٥)، إنباه الرواة (٢/ ٣٣٥).

فحمله علىٰ القلب يبعد في الصنعة، ويضعف المعنىٰ"[١].

ويؤيده: أنَّه علىٰ هذا القول يظهر اتساق الجمل القرآنية في الآية الكريمة، وترابط معانيها، واتصال بعضها ببعض، وتَمَعَّنْ هذه الآية والتي قبلها يتضح لك هذا جلياً، فلمَّا ذكر ﷻ سخريتهم بنبيه ﷺ كأنَّ النفوس تطلعت إلىٰ نزول العذاب، وظنوا أن لو كان محمدٌ علىٰ الحق لجاءهم العذاب، وهذا من عجلة الإنسان، ولهذا قال الله: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾، ثم نهاهم عن الاستعجال، وتوعدهم، مخبراً أن الله لحلمه وعلمه وحكمته يمهل، ولكنه لا يهمل، فقال: ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

قال ابن عطية:"وهذا التأويل يتم به معنىٰ الآية المقصود في أنْ ذُمَّتْ عجلتُهم، وقيل لهم علىٰ جهة الوعيد: إن الآيات ستأتي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ"[٢].

ويدل علىٰ هذا القول: قوله تعالىٰ: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ (الإسراء:١١).

ومثل هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ (الروم:٥٤) أي: ضعفاء، ثم بينها بقوله تعالىٰ:﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء:٢٨).

وعلىٰ هذا الأكثر من المفسرين، بل قال الرازي: إنَّه "قول المحققين"[٣].

وعزاه الواحدي لجميع أهل اللغة والمعاني[٤].

ونسبه ابن الجوزي للأكثرين[٥].

وإليه ذهب: الزمخشري وابن عطية والرازي وابن كثير والجلال المحلي وأبوالسعود والآلوسي والسعدي وابن عاشور[٦].

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٨٩).

(٢) المحرر الوجيز (٤/ ٨٢)، انظر: نظم الدرر (١٢/ ٤٢١)، تفسير ابن كثير (٥/ ٣٤٣).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٤٥).

(٤) انظر: التفسير البسيط (١٥/ ٧٦).

(٥) انظر: زاد المسير (٣/ ١٩١).

(٦) انظر: الكشاف (٣/ ١١٧)، المحرر الوجيز (٤/ ٨٢)، مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٤٥)، تفسير ابن كثير (٥/ ٣٤٣)، تفسير الجلالين (ص:٤٢٤)، إرشاد العقل السليم (٦/ ٦٧)، روح المعاني (٩/ ٤٧)، =

ثانيها: المعنىٰ: خلق الإنسان علىٰ سرعة وتعجيل، والإنسان هو آدم – صلوات الله عليه – وقد خلقه الله تعالىٰ من غير ترتيبِ خلقٍ كما خلقت ذريته من النطفة، والعلقة، والمضغة، وغيره،

ويذكرون ههنا آثاراً لم ترد عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، بل هي مأخوذة من أهل الكتاب، كمثل: ما قاله سعيد بن جُبَير: أول مَا نفخ فِيهِ الرّوح نفخ فِي رَأسه، ثمَّ فِي رُكْبَتَيْهِ، فَذهب ليقوم، قَالَ:﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[1].

وإلىٰ هذا ذهب الفراء والطبري[2].

وقال السمعاني: "وهذا قول حسن"[3].

ولما ذكر الطبري صواب هذا القول عنده بيَّن -كعادته- سبب ترجيحه، فقال:

"وإنما قيل ذلك كذلك؛ لأنه بودر بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة، وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح، وإنما قلنا أولىٰ الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب، لدلالة قوله تعالىٰ: ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ علىٰ ذلك"[4].

ثم ساق حديث أبىٰ هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ في الجمعة لساعة» يقللها قال: «لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أتاه الله إياه» فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أي ساعة هي، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، قال الله: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[5].

وفي أول كلامه رحمه الله بيان لمعنىٰ العجلة التي خلق عليها الإنسان، وليس

=

تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٢٣)، التحرير والتنوير (١٧/ ٦٨).

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٧١).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٠٣)، جامع البيان (١٦/ ٢٧٤).

(٣) تفسير السمعاني (٣/ ٣٨٠).

(٤) جامع البيان (١٦/ ٢٧٤).

(٥) أخرجه السعدي في أحاديث إسماعيل بن جعفر (ص:٢٤١) والبغوي في شرح السنة (٤/ ٢٠٣)، وحديث أبي هريرة عند البخاري (٩٣٥، ٦٤٠٠، ٥٢٩٤) ومسلم(٨٥٢).

استدلالاً لمذهبه، ثم جاء بعدُ الاستدلال، وهو دلالة قوله تعالىٰ: ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

والحق أنَّا لا نملك دليلاً علىٰ أنَّ آدم عليه السلام خلق في آخر ساعة من العصر، فلا يمكن تفسير العجلة بهذا.

وأما دلالة خاتمة الآية علىٰ هذا القول، فنعم، لكنها تدل علىٰ القول السابق بشكل أوضح.

وأما خبر عبد الله بن سلام، فإنَّه لم يرفعه إلىٰ نبينا ﷺ، والظاهر أنه حدَّث بما علمه من أحاديث بني إسرائيل، فقد كان رضي الله عنه من أحبارهم.

وثالثها: أن العجل ههنا الطين، كما هو بلغة حمير، فيكون المعنىٰ: خلق الإنسان من طين[1].

وذكروا في هذا بيتاً من الشعر:

والنبع في الصخرة الصماء منبته ** والنخل ينبت بين الماء والعجل[2].

أي الطين.

لكنْ، لا يصح تفسير الآية به؛ لأمرين اثنين، هما:

- أنَّ هذه لغة غير مشهورة، والقرآن إنما يحمل علىٰ المعروف المشهور من لغة العرب، بل قد شكك بعض أهل العلم في هذه اللغة، قال ابن عرفة[3]:

(١) انظر هذا القول في: الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٧/ ٤٧٥٧)، درج الدرر (٢/ ١٧٣)، تفسير السمعاني (٣/ ٣٨٠)، الكشاف (٣/ ١١٧)، المحرر الوجيز (٤/ ٨٢)، مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٤٥)، اللباب في علوم الكتاب (١٣/ ٥٠١)، مدارك التنزيل (٢/ ٤٠٤)، أضواء البيان (٤/ ١٤٩).

(٢) ذكر هذا البيت غير معزو غير واحد من المصنفين في معاني العربية وفي التفسير، انظر: تهذيب اللغة (١/ ٢٣٧)، تفسير السمعاني (٣/ ٣٨٠)، الكشاف (٣/ ١١٧)، تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٣٢٤)،لسان العرب (١١/ ٤٢٨)، تاج العروس (٢٩/ ٤٣٥)، أضواء البيان (٤/ ١٤٩).

(٣) أبو عبد الله، إبراهيم بن محمد بن عَرَفة جده المهلّب بن أبي صُفرة العَتَكِيّ الأزديّ، المعروف بنفطويه، أديب مُتفنِّنٌ، عالم بالعربية واللغة والحديث، كان ذا سنة ودين وفتوة ومروءة، وحسن خلق، وله نظم ونثر، توفي ببغداد سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة.
انظر: طبقات النحويين واللغويين (ص:١٥٤)، إنباه الرواة (١/ ٢١١)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٧٦).

"وليس عندي في هذا حكاية عمن يرجع إليه في علم اللغة"[(١)].

وقال الزمخشري:"والله أعلم بصحته" [(٢)].

- ولأنَّه لا يناسب ما بعده، وهو قوله تعالىٰ:﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾، فأي تناسب بين قول: خلق الإنسان من طين، وبين فلا تستعجلون؟!!.

وبهذا الوجه رد جمع من العلماء هذا القول.

قال ابن عاشور: "وأما من فسر العجل بالطين، وزعم أنها كلمة حميرية، فقد أبعد وما أسعد"[(٣)].

وأرجح هذه الأقوال ما ذهب إليه أكثر المفسرين من أنَّ المراد المبالغة في وصف الإنسان بالعجلة، وقد سبق ذكر مؤيدات هذا القول بما يغني عن إعادته.

الموضع الرابع عشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان:٧٤).

تُعدُّ هذه الآية الكريمة من أبرز الآيات التي ادعي فيها القلب، وأول من نسب إليه القول بالقلب فيها هو الإمام مجاهد رحمه الله، علىٰ أنَّه لم يصرح بالقلب في الآية، حيث قال: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان:٧٤): اجعلنا مؤتمين بهم، مقتدين بهم[(٤)].

ومن قول الإمام مجاهد أخذ جمع من أهل العلم بالتفسير أنَّ مجاهداً يرىٰ أنَّ الآية علىٰ القلب، ويعد أول من نص علىٰ هذا وفهمه من قول مجاهد ابن قتيبة رحمه الله، ثم تابعه عليه جماعة من المفسرين، منهم: الثعلبي والواحدي والبغوي وابن الجوزي والقرطبي والخازن والشوكاني[(٥)].

---

(١) تهذيب اللغة (١/ ٢٣٧)، وانظر: لسان العرب (١١/ ٤٢٨)، تاج العروس (٢٩/ ٤٣٥).

(٢) الكشاف (٣/ ١١٧).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٦٨)، وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٨٢)، إرشاد العقل السليم (٦/ ٦٧)، أضواء البيان (٤/ ١٤٩).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٧/ ٥٣٣).

(٥) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ١٢٦)، الكشف والبيان (٧/ ١٥٢)، معالم التأويل (٦/ ٩٩)، زاد المسير (٣/ ٣٣٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٨٣)، لباب التأويل (٣/ ٣٢٠)، فتح القدير (٤/ ١٠٤).

بل قال الواحدي: "وعلىٰ هذا يجب أن تكون الآية من باب القلب؛ علىٰ تقدير: واجعل المتقين لنا إمامًا"[١].

ونازع آخرون من أهل العلم في هذا، ورأوا أنَّ قول مجاهد لا يلزم منه القلب ولا أنه أراده، واختار الآلوسي -بناء علىٰ فهم هذا القول- أنَّ إماماً جمع آم، وهو القاصد، أي: اجعلنا يا رب قاصدين للمتقين مقتدين بهم[٢].

ولم يرتض ابن القيم دعوىٰ القلب-بناء علىٰ قول مجاهد- وشنع علىٰ من فهم هذا من الإمام، فقال: " وأشكل هذا التفسير علىٰ من لم يعرف قدر فهم السّلف وعمق علمهمْ، وقال[٣]: يجب أَن تكون الْآيَة علىٰ هَذَا القَوْل من بَاب المقلوب علىٰ تَقْدِير: وَاجعَل الْمُتَّقِينَ لنا أَئِمَّة.

ومعاذ الله أَن يكون شَيْء مقلوبٌ[٤]عن وَجهه، وَهَذَا من تَمام فهم مُجَاهِد رَحِمَهُ اللَّهُ،فَإِنَّهُ لَا يكون الرجل إِمَامًا لِلْمُتقين حَتَّىٰ يأتم بالمتقين، فنبه مُجَاهِد علىٰ هَذَا الْوَجْه الَّذِي ينالون بِهِ هَذَا الْمَطْلُوب، وَهُوَ اقتداؤهم بالسلف الْمتقين من قبلهم، فيجعلهم الله أئمة لِلْمُتقين من بعدهم، وهذا من أحسن الفهم في القرآن وألطفه، ليس من باب القلب في شيء، فمن ائتم بأهل السنة قبله ائتم به من بعده ومن معه"[٥].

وكأنَّ ابن القيم فهم أنَّ هذا من مجاهد تفسير باللازم، وعليه؛ فلا قلب في الآية- والله تعالىٰ أعلم-.

يؤيد هذا: أن الإمام مجاهداً لم يلغ المعنىٰ المتبادر من الآية، فقد روي عنه أنه قال: أئمة نقتدي بمن قبلنا، ونكون أئمة لمن بعدنا[٦].

وهذا ما فهمه الحسن البصري من الآية الكريمة، فقد نقل السمعاني عنه أنه قال:

---

(١) التفسير البسيط (١٦/ ٦١٤).

(٢) روح المعاني (١٠/ ٥٢).

(٣) واضح أنه أراد الواحدي، وهي عبارته في البسيط.

(٤) قال المحقق: بالرفع في النسخ جميعها؛ لأن (كان) تامة، فاقتصر علىٰ الفاعل.

(٥) رسالة ابن القيم إلىٰ أحد إخوانه (ص:١٢).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٧/ ٥٣٢).

نقتدي بالمتقين، ويقتدي بِنَا المتقون[1].

واختاره الواحدي[2].

وذهب أكثر المفسرين إلىٰ حمل الآية علىٰ ظاهرها المتبادر منها، فقالوا: معنىٰ الآية: واجعلنا أئمة في الهدىٰ يقتدي بنا الصالحون من عبادك.

وهو مذهب ابن عباس[3]، واختاره الفراء والطبري والبغوي والرازي وابن جزي والخازن وأبو السعود والشوكاني والآلوسي والسعدي[4].

بل إنَّ ابن القيم اختاره في كتابين له[5].

ووجه هذا القول بينٌ واضح، فهم سألوا أن يكونوا أئمة في الهدىٰ، فلا تصرف الآية عن وجهها.

ولعل الصحيح -إن شاء الله تعالىٰ- أنه لا تعارض بين القولين، والأمر كما قال العلامة ابن القيم، فإنَّ من لم يأتم بالسالفين، فلن يقتدي به الصالحون، غير أنَّ المعنىٰ المقصود أصالة -والعلم عنده تعالىٰ-، هو: أنهم قالوا: اللهم اجعلنا أئمةً يُقتدىٰ بنا في الخير.

الموضع الخامس عشر: قال الله تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء:٧٧).

يرىٰ بعض أهل العلم أنَّ الآية الكريمة من باب المقلوب، ومعناها: فإنِّي عدو لهم، قالوا: وإنَّما ساغ إسناد العداوة للأصنام مع كونها لا تعقل، لأنَّ المراد المعادي لها، وهو إبراهيم عليه السلام؛ فإنَّ من عاديته عاداك.

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٣٦).

(٢) الوجيز (ص:٧٨٤).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٧/ ٥٣٢).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٤)، جامع البيان (١٧/ ٥٣٣)، محاسن التأويل (٦/ ٩٩)، مفاتيح الغيب (٢٤/ ٤٨٧)، أنوار التنزيل (٤/ ١٣٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٧)، لباب التأويل (٣/ ٣٢٠)، إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٣١)، فتح القدير (٤/ ١٠٤)، روح المعاني (١٠/ ٥٢)، تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٨٧).

(٥) انظر: طريق الهجرتين (ص:٦٨)، مفتاح دار السعادة (١/ ٨١).

وهذا ما ذهب إليه ابن قتيبة والسمعاني[١]، وعزاه الواحدي لصاحب النظم[٢].

وعزاه غير واحد للفراء، وهي نسبة غير صحيحة[٣].

وقد وجهت سهام النقد لهذا القول، ولم يرتضه بعض المحققين، لأن هذا القول خلاف الأصل، ولا يصار إليه إلا من حاجة داعية إليه، ويأتي أبو حيان في مقدمة هؤلاء، فيقول عن هذا القول: "ليس بشيء، ولا ضرورة تدعو إلىٰ ذلك"[٤].

وكذا قال السمين الحلبي والآلوسي[٥].

واختار أكثر المفسرين أنَّ الآية ليست علىٰ القلب، بل هي علىٰ الأصل، وعلىٰ معناها المتبادر منها، وهو أنَّ المقصود بالعدو هي الأصنام، لكن هذه العداوة يوم القيامة، كما قال تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ (العنكبوت:٢٥).

وقال تعالىٰ: ﴿كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ (مريم:٨٢).

وفي هذا جواب لسؤالٍ واردٍ يذكره أكثر المفسرين، ألا وهو: كيف أضاف العداوة للأصنام، وهي لا تعقل؟

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ١٢٢)، تفسير السمعاني (٤/ ٥٣)، وقد ذكر هذا القول جمع من المفسرين، انظر:
المحرر الوجيز (٤/ ٢٣٤)، لباب التأويل (٣/ ٣٢٧)، البحر المحيط (٨/ ١٦٤)، الدر المصون (٨/ ٥٣٠)، روح المعاني (١٠/ ٩٣).

(٢) انظر: التفسير البسيط (١٧/ ٦٧).
وصاحب النظم هو أبو علي الحسن بن يحيىٰ بن نصر الجرجاني، كما رجحه محقق الكتاب في مقدمته للتفسير البسيط (١/ ٢٣٦).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٧/ ١٦٧)، معالم التنزيل (٦/ ١١٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١١٠)، مدارك التنزيل (٢/ ٥٦٧)، فتح القدير (٤/ ١٢٢).
وقد صرح الفراء برأيه في الآية الكريمة موافقا للجمهور، كما في معاني القرآن (٢/ ٢٨١)، قال الواحدي في البسيط (١٧/ ٦٦):
"ونحو هذا حكىٰ بعض المتأخرين عن الفراء-يعني القول بالقلب-، ولم أر له ذلك".

(٤) البحر المحيط (٨/ ١٦٤).

(٥) انظر: الدر المصون (٨/ ٥٣٠)، روح المعاني (١٠/ ٩٣).

وممن ذهب إليه: الفراء والطبري والثعلبي ومكي والواحدي والقرطبي والنسفي والخازن والشوكاني[1].

وذهب ابن كثير إلىٰ أنَّ هذه العداوة في الدنيا، ومعنىٰ الكلام: إن كانت هذه الأصنام شيئًا ولها تأثير، فلتخلص إليَّ بالمساءة، فإنِّي عدو لها لا أباليها، ولا أفكر فيها، كما أعلن هذا عليه السلام صريحًا بقوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ (الأنعام:٨١).

وبقوله:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾(الزخرف:٢٦-٢٧).

وعلىٰ هذا المعنىٰ جاء قول نوح عليه السلام: ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾ (يونس:٧١).

وقول هود عليه السلام:﴿ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ (هود:٥٤، ٥٥).

وأراد بهذه العداوة ههنا: طلب إلحاق الضرر -وهو لازم من لوازم العداوة-، والخبر خرج مخرج التحدي.

ويؤيد هذا الوجه أنَّ إبراهيم لما ذكر أنَّ أصنامهم لا تملك له شيئًا، ذكر ربه تبارك وتعالىٰ، وأنه بيده النفع والضر، ويملك الخير وضده، ولاشك أنَّ هذا المعنىٰ أولىٰ في المناظرة من غيره.

وإلىٰ هذا ذهب الشيخ السعدي والشنقيطي[2].

وقال آخرون: المراد عداوة من يعبدها، أي: من يعبد الأصنام عدوٌ لي[3].

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٨١)، جامع البيان (١٧/ ٥٩١)، الكشف والبيان (٧/ ١٦٦)، الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٨/ ٥٣١٧)، التفسير البسيط (١٧/ ٦٦): الجامع لأحكام القرآن(١٣/ ١١٠)، لباب التأويل (٣/ ٣٢٧)، فتح القدير (٤/ ١٢٢).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٩٢)، أضواء البيان (٧/ ١٠١).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (٢٤/ ٥١٠) البحر المحيط (٨/ ١٦٤)، الدر المصون (٨/ ٥٣٠)، روح المعاني (١٠/ ٩٣).

وعداوة عباد الأصنام لأهل التوحيد أمر معروف مشاهد، ولذا، فقد انتصروا لآلهتهم، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء:٦٨).

لكن يؤخذ على هذا القول: أنَّ فيه تقديراً، والأصل في الكلام عدم التقدير، وأيضـًا: أنَّ كلام إبراهيم عليه السلام مع قومه في الآلهة، وليس في القوم، فلا ينبغي العدول عما قُصِدَ أصالة.

وجوَّز السمعاني[1] أن يكون مراداً بالعداوة: أنَّي لا أتولاهم، ولا أطلب من جهتهم نفعـًا، كما لا يُتولىٰ العدو ولا يطلب من جهته النفع.

وهذا لا مانع من القول به، فإنَّ العدو لا يطلب ولا يتولىٰ، وهذا من لوازم العداوة، غير أنه من معنىٰ عداوة إبراهيم للأصنام، وليس من عداوة الأصنام لإبراهيم، فلابد من بيان معنىٰ عداوة الأصنام لإبراهيم أولاً، ثم لا مانع من الحديث عن عداوة إبراهيم لها للتلازم بين العداوتين.

والراجح إن شاء الله تعالىٰ ما ذهب إليه الجمهور من أنَّ الآية ليس فيها قلب، والعداوة تكون في الدنيا والآخرة، فنجمع بين قول الجمهور وما ذهب إليه ابن كثير، لأن من القواعد التفسيرية المشهورة: أن القولين المحكيين في تفسير الآية إذا لم يكن بينهما تعارض، فالأرجح حمل الآية عليهما.

الموضع السادس عشر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ (النمل: ٢٠).

موضع القلب عند من رآه: قوله تعالىٰ: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ قالوا: المعنىٰ: ما للهدهد لا أراه، فالآية جاءت علىٰ القلب، علىٰ أسلوب العرب في الخطاب، تقول: ما لي أراك كئيبا؟ معناه ما لك كئيب.

يؤيد هذا: أن سليمان عليه السلام سأل عن الهدهد لا عن سبب عدم رؤيته، فإن الإنسان أدرىٰ بنفسه، فلا يسأل غيره عن أمر متعلق به، لكنه سأل عن الهدهد لماذا لا يراه.

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٥٣)، معالم التنزيل (٦/ ١١٧).

قالوا: فهذا من المقلوب الذي معناه معلوم[1].

واختار هذا القول في معنىٰ الآية الكريمة جمع من المفسرين، منهم: الواحدي والبغوي وابن الجوزي والقرطبي والشوكاني[2].

ونوقش هذا القول بمخالفته الأصل، ألا وهو الأصل في الكلام كونه علىٰ نسقه ونظامه، فلا يصار إلىٰ خلاف الأصل من دون ما ضرورة.

قال أبو حيان: "ولا ضرورة إلىٰ ادعاء القلب"[3].

وقال السمين الحلبي:" ولا حاجةَ إلىٰ ادِّعاء القَلْب، وأنَّ الأصلَ: ما للهدهد لا أراه؟ إذ المعنىٰ قويٌّ دونه"[4].

وذهب آخرون من أهل العلم إلىٰ أن الآية علىٰ نسقها، فلا قلب فيها، والمعنىٰ: "﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ أخطأه بصري فلا أراه وقد حضر، أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر"[5].

فكأن سليمان لما لم ير الهدهد ظن أنَّه لم يره لمانع من كثرة الجند مثلاً، فقال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾.

قال الجلال المحلي:"أي: أَعَرضَ لي ما منعني من رؤيته ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾فلم أره لغيبته"[6].

وعزا الطبري هذا القول لأهل التأويل، ولم يحك خلافه، واختاره[7]، وبه قال

---

(١) التفسير الوسيط (٣/ ٣٧٣)، التفسير البسيط (١٧/ ١٩٥)، معالم التنزيل (٦/ ١٥٢)، زاد المسير (٣/ ٣٥٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٩)، البحر المحيط (٨/ ٢٢٣)، فتح القدير (٤/ ١٥٢)، روح المعاني (١٠/ ١٧٧).

(٢) التفسير الوسيط (٣/ ٣٧٣)، التفسير البسيط (١٧/ ١٩٥)، معالم التنزيل (٦/ ١٥٢)، زاد المسير (٣/ ٣٥٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٩)، فتح القدير (٤/ ١٥٢).

(٣) البحر المحيط (٨/ ٢٢٣).

(٤) الدر المصون (٨/ ٥٩١)، وانظر: اللباب (١٥/ ١٣٦).

(٥) جامع البيان (١٨/ ٣٢).

(٦) تفسير الجلالين (ص:٤٩٦).

(٧) جامع البيان (١٨/ ٣٢).

محمد إسحاق[١].

واختاره أيضاً: مكي والرازي والبيضاوي وابن جزي وأبو حيان والسمين الحلبي وأبو السعود والآلوسي والسعدي وابن عاشور[٢].

قال الشيخ ابن سعدي: "﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾:أي: هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به؛ لكونه خفياً بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم علىٰ بابها بأن كان غائباً من غير إذني ولا أمري؟"[٣].

وأيدوا هذا القول بموافقته الأصل، والمعنىٰ واضح فلا نحتاج إلىٰ القول بالقلب، كما نصَّ علىٰ هذا السمين الحلبي -وقد سبق نقل كلامه-.

ولعل الراجح- والله تعالىٰ أعلم- القول بالقلب؛ فالمراد من هذا الاستفهام السؤال عن سرِّ غياب الهدهد، ولم يكن منه عليه السلام سؤال عن حاله هو، وهذا أسلوب عربي معروف، ولا زال الناس يستعملونه قاصدين به طلب معرفة سبب غياب من يوجهون إليه هذا الاستفهام، لا معرفة شيء من أحوالهم.

الموضع السابع عشر: قال الله تعالىٰ:﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ (القصص:١٢).

موضع القلب عند من رآه:﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾، قالوا: جاءت هذه الآية علىٰ القلب، والمعنىٰ: وحرمنا علىٰ المراضع أن ترضعه، فالتحريم علىٰ المراضع، لا علىٰ موسىٰ؛ لأنَّ التحريم لا يقع إلا علىٰ المكلف.

وهذا مذهب ابن فارس في الآية الكريمة[٤].

ولم أر من تبنىٰ هذا القول غيره أو نسب إليه صريحاً، إلا ما ذكره الزركشي عند

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٨٥).

(٢) انظر: الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٨/ ٥٣٩١)، مفاتيح الغيب (٢٤/ ٥٥٠)، أنوار التنزيل (٤/ ١٥٧)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٠)، إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٧٩)، روح المعاني (١٠/ ١٧٧)، تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٠٣)، التحرير والتنوير (١٩/ ٢٤٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٠٣).

(٤) انظر: الصاحبي في فقه اللغة (ص:١٥٤).

حديثه عن هذا النوع، فذكر الآية كمثال يندرج تحت نوع القلب، وتبعه السيوطي[1].

ويناقش هذا القول بمخالفته الأصل الذي طالما ذكرناه وقررناه، ألا وهو: الأصل في الكلام كونه علىٰ نظمه، وادعاء القلب خروج عن هذا الأصل بغير بينة ولا برهان، وهذا مما يصان عنه كلام ربنا تبارك وتعالىٰ، ولهذا لم أجد من اختار هذا القول من المفسرين، بل لم أر من ذكره منهم إلا ما كان من الإمام مكي، فقد حكاه بصيغة التمريض[2].

وقد ذهب عامة من رأيت من المفسرين إلىٰ أنَّ الآية علىٰ نسقها المذكور، ومعناها علىٰ ظاهرها المتبادر منها، وهو: ومنعنا موسىٰ من المراضع، والتحريم ههنا: تحريم قدري كوني لا شرعي، وهو بمعنىٰ المنع.

وهذا المعنىٰ معروف في اللغة وفي الكتاب العزيز، أما ورود التحريم بمعنىٰ المنع في اللغة، فقد جاء في شعر امرئ القيس حيث يقول[3]:

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري إني امرؤ صرعي عليك حرام.

أي ممنوع، فلا تستطيعينه.

ولهذا نجد المؤلفين في علم المعاني وفي معاني القرآن يدونون هذا المعنىٰ لهذه اللفظة، مما يدل علىٰ ثبوت هذا المعنىٰ عندهم من غير نكير، يقول ابن فارس: "الحاء والراء والميم أصلٌ واحدٌ، وهو المنع والتشديد"[4].

وصدق رحمه الله، فانظر إلىٰ هذه اللفظة وما تصرف منها ستجد معنىٰ المنع حاضراً فيها، بل حتىٰ كلمة الحرام -شرعًا- تجد فيها معنىٰ المنع، لكنه منع شرعي، انظر إلىٰ: له حرمة، البلد الحرام، الشهر الحرام، المحارم، الإحرام، ذو رحم محرم، وهكذا[1].

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٩١)، الإتقان في علوم القرآن (٣/ ١٢٨).

(٢) انظر: الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٨/ ٥٤٩٧).

(٣) البيت في ديوان امرئ القيس (ص:١٥٢).

(٤) مقاييس اللغة (٢/ ٤٥).

(١) انظر: العين (٣/ ٢٢١)، تهذيب اللغة (٥/ ٣٠)، مجمل اللغة (ص:٢٢٨).

قال الإمام مكي: "والتحريم بمعنىٰ المنع، معروف في اللغة"[(١)].

وأما في الكتاب العزيز، فكقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (الأعراف:٥٠) والمراد التحريم الكوني، وهو المنع؛ لأنَّ الدار الآخرة ليس فيها تحريم شرعي.

وقوله: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء:٩٥).

قال العلامة الشنقيطي:"التحريم يطلق في القرآن وفي لغة العرب علىٰ التحريم الشرعي، وعلىٰ التحريم بمعنىٰ المنع، وليس المراد هنا أنهما شرعا محرمات، ولكنَّه تحريم قدري، وأن الله منع منهما الكافرين منعاً باتاً بقدره وقضائه، ونظيره من التحريم بالمعنىٰ القدري لا بالمعنىٰ الشرعي قوله:﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ (المائدة:٢٦).

وقوله جل وعلا: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾ (القصص:١٢)؛ لأن الرضيع لا يؤاخذ بالتحريم الشرعي حتىٰ يكون عليه حرام أو حلال، والمعنىٰ: منعناه منهما"[(٢)].

قال ابن كثير: "أي: تحريماً قدرياً، وذلك لكرامة الله له صانه، عن أن يرتضع غير ثدي أمه"[(٣)].

وهكذا قال أهل التفسير[(٤)].

وعلىٰ هذا المعنىٰ جاءت تفاسير السلف، كابن عباس[(٥)] ومجاهد[(١)] وقتادة[(٢)]

(١) انظر: الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٨/ ٥٤٩٧).

(٢) العذب النمير (٣/ ٣٠٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٣).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٣)، جامع البيان (١٨/ ١٧٧)، التفسير البسيط (١٧/ ٣٤٨)، تفسير السمعاني (٤/ ١٢٦)، معالم التنزيل (٦/ ١٩٥)، زاد المسير (٣/ ٣٧٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٥٧)، أنوار التنزيل (٤/ ١٧٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١٠)، البحر المحيط (٨/ ٢٩٠)، اللباب في علوم الكتاب (١٥/ ٢٢٢)، أضواء البيان (٤/ ١١).

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٨).

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٨).

والسدي [1].

الموضع الثامن عشر: قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص:٧٦).

الموضع الذي ذكر فيه القلب من الآية الكريمة، هو قوله تعالىٰ:﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾.

وقد ذكر هذا القول عن أبي عبيدة-أعني القلب- غير أنَّه لم ينص عليه، وإنما نص علىٰ ما فهم منه القلب، قال ﷺ: "مجازه: ما إنَّ العصبة ذوىٰ القوة لتنوء بمفاتح نعمه، ويقال فى الكلام: إنها لتنوء بها عجيزتها، وإنما هىٰ تنوء بعجيزتها، كما ينوء البعير بحمله، والعرب قد تفعل مثل هذا"[2].

ووافقه عليه الأخفش[3].

وقد نصَّ غير واحد من العلماء أنَّ هذا القول معناه القلب في الآية الكريمة، وممن نصَّ عليه: ابن قتيبة والنحاس والبغوي وابن الجوزي وابن جزي والشوكاني والآلوسي[4].

وسبب هذا القول: أنَّ أبا عبيدة حمل معنىٰ تنوء في الآية علىٰ النهوض، ومعلوم أن الذي يَحْمِلُ هم العصبة، وليست المفاتح، وعلىٰ هذا؛ فالآية من باب المقلوب، وتقديرها ما ذكر.

وقد جاء علىٰ هذا المعنىٰ قول عائشة ﵂ في ذكر مرض النبي ﷺ:"فَذهب لينوء، فأغمىٰ عَلَيْهِ"[1].

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١١٠).

(٣) انظر: معانىٰ القرآن للأخفش (٢/ ٤٧٢).

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:١٣٠)، محاسن التأويل (٦/ ٢٢٠)، زاد المسير (٣/ ٣٩٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١٩)، فتح القدير (٤/ ٢١٤)، روح المعاني (١٠/ ٣١٧).

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧) ومسلم(٤١٨).

ومعنىٰ ينوء: يقوم وينهض.

قال القاضي عياض: "وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ "[١].

وما ذكره أبو عبيدة من معنىٰ أنَّ معنىٰ تنوء النهوض بجهد ومشقة مذكور في كتب أهل العربية، قالوا: "ناءَ يَنوءُ نَوْءًا: نَهَضَ بِجَهْدٍ ومَشَقَّةٍ، وناءَ: سَقط، وهو من الأضداد"[٢].

وقال بعض أهل العربية: هو مطلق النهوض[٣].

ولكن، ليس كل ما جاز في العربية جاز حمل القرآن عليه، كما هو معلوم، ويبقىٰ النظر في قول أهل التأويل، وتطبيق قواعد المفسرين.

وقد ردَّ أهل التأويل هذا القول، بل عدَّه بعضهم غلطـًا في التأويل، ويعد من أول من تصدىٰ لردَّ هذا القول الفراءُ، ثم نقل الناس كلامه مستحسنين له ومؤيدين كان في طليعتهم: ابن قتيبة وابن جرير والزجاج والنحاس، وغيرهم، وكان السبب لرد هذا القول: أنَّ فيه قلبـًا لنظم القرآن، وهذا خلاف الأصل، ثمَّ لا يصارُ إليه إلا إذا وجد الدليل البين، بل قال ابن عاشور: "وَأَمَا قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ بِأَنَّ تَرْكِيبَ الْآيَةِ فِيهِ قَلْبٌ، فَلَا يَقْبَلُهُ مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ"[٤].

وأيضـًا: المعنىٰ مستقيم دون اللجوء إلىٰ ما ذكر، فيقال: المراد: ما إنَّ مفاتحه لتثقل بالعصبة أو تميلها من ثقلها.

فأنت ترىٰ هذا القول آتٍ علىٰ نسق الآية الكريمة.

وقد نصَّ علماء العربية علىٰ أن تنوء تأتي بهذا المعنىٰ المذكور، ولا مانع منه، وعليه؛ فالأصل حمل المعنىٰ عليه، "وتكون الباء للتعدية، ولا قَلْبَ في الكلام، والمعنىٰ: لَتُنِيْءُ المفاتيحُ العُصْبَةَ الأقوياءَ، كما تقولُ: أَجَأْتُه وجِئْتُ به، وأَذْهَبْتُه

(١) مشارق الأنوار (٢/ ٣١).

(٢) قاله الجوهري في الصحاح (١/ ٧٨)،وانظر: أساس البلاغة (٢/ ٣٠٦)، مختار الصحاح (ص:٣٢١)، لسان العرب (١/ ١٧٤).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص:٨٣٠)، مشارق الأنوار (٢/ ٣١).

(٤) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٧٧).

وذَهَبْتُ به"[1].

قال أبو زيد[2]: "يقال: نؤت بالحِمْلِ، أنوءُ به نُوءاً إذا نهضْت به.

وناء بي الحمل إذا أَثْقَلَنِي"[3].

قال الجوهري: "يقال ناءَ بالحِمْل، إذا نهض به مُثْقَلاً: وناءَ به الحِمْلُ، إذا أثْقَله، والمرأةُ تَنوءُ بها عَجيزَتُها، أي: تُثْقِلُها"[4].

وبهذا النقل استدل كل من الزجاج والنَّحاس لرد قول أبي عبيدة[5].

فهذا الوجه الأول لرد قول أبي عبيدة، وهو: أنَّه خلاف ظاهر التنزيل.

ووجه ثانٍ ذكره الإمام الطبري، وهو: أنَّ الآثار المروية عن السلف في تفسير الآية علىٰ خلاف هذا القول.

ووجه ثالث أيضـًا: أنه يلزم علىٰ قول أبي عبيدة أن يكون الكلام اتجه إلىٰ العصبة، وليس إلىٰ المفاتح، والمعنىٰ: ما إنَّ العصبة لتنهض بمفاتحه، فلا يكون في الآية -علىٰ هذا القول- ذكر لكثرة وعظم مفاتحه، بينما نرىٰ الآية قصد فيها بيان كثرة ما أعطىٰ الله قارون من الأموال، فذهب هذا المقصود بناء علىٰ هذا القول، في حين أننا إذا قلنا: ما إن مفاتحه لتثقل بالعصبة، كان هذا دليلاً علىٰ كثرتها وعظمها.

وهذا معنىٰ حسن رائق أبداه شيخ المفسرين رحمه الله وغفر له[1]، غير أنه مندفع بما إذا حمل النوء علىٰ القيام بجهد ومشقة، فيكون الوصف واقع علىٰ المفاتح.

---

(١) قاله في الدر المصون (٨/ ٦٩٣)، وانظر: البحر المحيط (٨/ ٣٢٤)، روح المعاني (١٠/ ٣١٧).

(٢) أبو زيدٍ: سعيدُ بن أَوْس بن ثابت بن العَتيك الأنصاري، النحوي اللغوي الإمام الأديب، وإنما غلبت عليه اللغة والغريب والنوادر فانفرد بذلك، كان ثقةً ثبتـًا، يقال: كان أبو زيد يحفظ ثلثي اللغة، مات أبو زيد سنة خمس عشرة ومائتين.
انظر: طبقات النحويين واللغويين (ص:١٦٥)، تاريخ بغداد (١٠/ ١٠٩)، معجم الأدباء (٣/ ١٣٥٩)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٩٤).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٥٥)، معاني القرآن للنحاس (٥/ ١٩٩).

(٤) الصحاح (١/ ٧٨)، وانظر:لسان العرب (١/ ١٧٤)، تاج العروس (١/ ٤٧١).

(٥)انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٥٥)، معاني القرآن للنحاس (٥/ ١٩٩).

(١) انظر: جامع البيان(١٨/ ٣١٩).

إذا تبين هذا، فالقول الحقيق بالقبول ما ذهب إليه أكثر المفسرين من أن الآية باقية علىٰ نظمها، فلا تقديم ولا تأخير، ولا قلب.

وهذا مذهب ابن عباس في فهم الآية الكريمة، حيث قال: ﴿ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ أي لتثقل بالعصبة[(١)].

وهو كذلك مذهب الجم الغفير من المفسرين، منهم: الفراء وابن قتيبة والطبري والزجاج والنحاس وابن أبي زمنين والواحدي والبغوي والزمخشري والقرطبي والبيضاوي والخازن وأبو حيان وأبو السعود والآلوسي وغيرهم[(٢)].

الموضع التاسع عشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (الأحقاف: ٢٠).

موضع القلب في الآية الكريمة عند من رآه، هو قوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ حيث قالوا: تقدير الآية: ويوم تعرض النار علىٰ الذين كفروا.

وهذا الوجه في فهم الآية الكريمة ذكره جمع من أهل العلم[(٣)]، وجوَّزه الزمخشري، حيث قال:" ويجوز أن يراد: عَرْضُ النار عليهم، من قولهم: عرضت الناقة علىٰ الحوض، يريدون: عرض الحوض عليها، فقلبوا، ويدل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنه [(١)]: يجاء بهم إليها، فيكشف لهم عنها"[(٢)].

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٣١٤) وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٨).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٠)، تأويل مشكل القرآن (ص:١٣٠)، جامع البيان(١٨/ ٣١٩)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٥٥)، معاني القرآن للنحاس(٥/ ١٩٩)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين(٣/ ٣٣٤)، الوجيز للواحدي(ص:٨٢٥)، معالم التنزيل(٦/ ٢٢٠)، الكشاف (٣/ ٤٣٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣١٢)، أنوار التنزيل (٤/ ١٨٥)، لباب التأويل (٣/ ٣٧٠)، البحر المحيط (٨/ ٣٢٤)، إرشاد العقل السليم (٧/ ٢٤)، روح المعاني (١٠/ ٣١٧).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥/ ١١٥)، مدارك التنزيل (٣/ ٣١٤)، الدر المصون (٩/ ٦٧٢)، اللباب في علوم الكتاب (٦/ ٩٨)، (١٧/ ٤٠١)، تفسير الإيجي (٤/ ١٢٨)، إرشاد العقل السليم (٨/ ٨٤).

(١) لم أجده.

(٢) الكشاف (٤/ ٣٠٥).

وسبب هذا القول: أنَّ المعروض عليه هو الذي له الاختيار ولديه الميل[1]، والنار ليست كذلك، بل هي جماد لا عقل لها، وعليه؛ فالمعروض عليه هم الكفار، فيكون المعنىٰ: تعرض النار علىٰ الكفار.

وعرض النار علىٰ الكفار قد جاء في قوله تعالىٰ:﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ (الكهف:١٠٠).

هذا قولهم، وتلك أدلته، ولننظر في رأي العلماء فيه، فأقول: لم يرتض أكثر العلماء هذا القول، وقد أجابوا عن الأدلة المذكورة، أما سبب عدم رضاهم عن هذا القول، فهو مخالفته للأصل، فالأصل في الكلام كونه علىٰ نسقه، وادعاء القلب خروج به عن هذا الأصل.

قال العلامة الشنقيطي: "لا ينبغي حمل الآية عليه؛ لأنه خلاف الظاهر، ولا دليل عليه يجب الرجوع إليه"[2].

أما استدلالهم بأنَّ عرض النار علىٰ الكفار جاء في آية الكهف، فنعم، ولكنها في موضع، وهذه الآية في موضع آخر، فآية الكهف في عرصات يوم القيامة، يظهر الله لهم النار ويبرزها، حتىٰ إذا رأوها تيقنوا الوقوع فيها، كما قال تعالىٰ:﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ (الكهف:٥٣).

وأمَّا هذه الآية، فالمراد بالعرض تعذيبهم فيها، كما تقول: عرضوا علىٰ السيف، أي: قتلوا.

وهذا المعنىٰ -أعني عرض الكفار علىٰ النار- جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ﴾ (الشورىٰ:٤٥)، وأيضاً في قوله تعالىٰ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦].

وأما أثر ابن عباس، فليس فيه دلالة لما ذهبوا إليه، بل فيه عرض الكفار علىٰ النار.

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٩١)، معترك الأقران (١/ ١٩٢)، روح المعاني (١٣/ ١٧٩)، إعراب القرآن وبيانه (٩/ ١٨٨).
(٢) أضواء البيان (٧/ ٢٢٨).

وأما قولهم: إنَّ جهنم لا اختيار لها ولا ميل، فغير صحيح، فإنَّ الله جل شأنه يجعل فيها المعرفة والإدراك والميل إلىٰ ما يناسبها، فإنها أدركت حرها، حتىٰ أكل بعضها بعضاً، فشكت إلىٰ ربها جَلَّوَعَلَا[(١)]، وتحاجت هي والجنة[(٢)]، ويوم القيامة ترىٰ المشركين، وتدرك أنهم وقودها، وتعلم أنهم الذين أمرت بتعذيبهم، فيزداد حنقها وغيظها، قال تعالىٰ: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (الفرقان:١٢)، وقال ﷻ: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ (الملك:٨)[(٣)].

بل إنَّ المشركين يوم القيامة هم الذين لا خيار لهم، فأشبهوا الجمادات، وهذا ما أفاده الزركشي رحمه الله، فإنَّه لما ذكر أن المعروض عليه لابد أن يكون فيه اختيار وإرادة، قال: "وعلىٰ هذا؛ فلا قلب في الآية؛ لأنَّ الكفارَ مقهورون، فكأنهم لا اختيار لهم، والنار متصرفة فيهم، وهو كالمتاع الذي يقرب منه من يعرض عليه كما قالوا: عرضت الجارية علىٰ البيع"[(٤)].

فقلب الدليل علىٰ الزمخشري، وهذه لفتة نفسية من هذا الإمام إلىٰ أنَّ الأصل أنَّ تسخر القواعد لخدمة النص القرآني، ولا عكس.

فالصحيح ألَّا قلب في الآية، قال أبو حيان:

" ولا ينبغي حمل القرآن علىٰ القلب، إذ الصحيح في القلب أنه مما يضطر إليه في الشعر، وإذا كان المعنىٰ صحيحاً واضحاً مع عدم القلب، فأي ضرورة تدعو إليه؟ وليس في قولهم: عرضت الناقة علىٰ الحوض، ولا في تفسير ابن عباس ما يدل علىٰ القلب، لأنَّ عرض النَّاقة علىٰ الحوض، وعرض الحوض علىٰ النَّاقة، كل منهما صحيح؛ إذ العرض أمرٌ نسبي يصح إسناده لكل واحدٍ من الناقة والحوض"[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري(٣٢٦٠) ومسلم(٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢)أخرجه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم(٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) بنحو هذا الجواب أجاب ابن المنير عن قول الزمخشري: كقولهم عرضت الناقة علىٰ الحوض، فانظره -غير مأمور- في حاشيته علىٰ الكشاف(٥/ ٥٠٢-٥٠٣).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٩١).

(١) البحر المحيط (٩/ ٤٤٣)، الدر المصون (٩/ ٦٧٢).

والمعنىٰ الذي ذهب إليه الأكثر من العلماء: تعذيبهم بها، من قولهم: عرض بنو فلان علىٰ السيف، إذا قتلوا به.

قال ابن عطية: "وهذا العرض هو بالمباشرة، كما تقول: عرضت العود علىٰ النار، والجاني علىٰ السوط"[1].

الموضع العشرون: قال الله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ (ق:١٩).

موضع القلب عند من رآه هو قوله تعالىٰ: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ قالوا: والمراد: وجاءت سكرة الحق بالموت[2].

وعلىٰ هذا؛ فالسَّكرة هي الحق، أي: وجاءت السكرة الحقّ، من باب إضافة الشّيء إلىٰ نفسه.

وقد نصَّ الإمام الزركشي علىٰ أنَّ هذا القول يعني القلب[3]، ونص آخرون – بناء علىٰ هذا القول- أن الآية فيها تقديم وتأخير، وهذا هو معنىٰ ما قاله الزركشي[4].

وهذا ما ذهب إليه الفراء[5] والثعلبي[1].

وعضدوا قولهم هذا بقراءة أبي بكر الصديق وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: وجاءت

---

(١) المحرر الوجيز (٥/ ١٠٠)، وانظر: الكشاف (٢/ ٧٤٩)، مفاتيح الغيب (٢٨/ ٢٣)، أنوار التنزيل (٥/ ١١٥)، مدارك التنزيل (٣/ ٣١٤)، البحر المحيط (٩/ ٤٤٣)، إرشاد العقل السليم (٨/ ٨٤)، التحرير والتنوير (٢٦/ ٤٢).

(٢) انظر هذا القول في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٤٥)، بحر العلوم (٣/ ٣٣٥)، النكت والعيون (٥/ ٣٤٨).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٩٠).

(٤) انظر: بحر العلوم (٣/ ٣٣٥)، الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٥/ ٣٧٥٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٢)، فتح القدير (٥/ ٨٩)، فتح البيان للقنوجي (١٣/ ١٧٠).

(٥) قال في معاني القرآن (٢/ ٦٥): "وقوله: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (الرعد:٣٨) جاء التفسير: لكل كتاب أجل، ومثله: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ وذلك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (وجاءت سكرة الموت بالحق) لأنَّ الحق أتىٰ بها، وتأتي به".
وهذا النص أوضح مما ذكره في (٣/ ٧٨).

(١) انظر: الكشف والبيان (٩/ ١٠٠).

سكرة الحق بالموت[١].

لكن، هذا القول ينتقدُ بما ذكرناه سابقـًا أنَّ الأصل عدم القلب.

والجواب عن هذه القراءة أنَّها معدودة في القراءات الشاذة؛ لمخالفتها رسم المصحف الشريف، قال القرطبي:" وقد زعم من طعن على القرآن فقال: أخالف المصحف كما خالف أبو بكر الصديق، فقرأ: وجاءت سكرة الحق بالموت.

فاحتج عليه بأن أبا بكر رويت عنه روايتان: إحداهما موافقة للمصحف، فعليها العمل، والأخرى مرفوضة تجري مجرى النسيان منه إن كان قالها، أو الغلط من بعض من نقل الحديث"[٢].

وذهب آخرون من أهل العلم بالتأويل بأن الآية على نظمها، من غير ادعاء قلب فيها، أو تقديم أو تأخير، قالوا: المعنى جاءت السكرة التي تدل الإنسانَ على أنه ميت، وأنه قادم على ربه تبارك وتعالى، فذاك الحق الذي جاءت به سكرة الموت.

قال ابن القيم: "وهي سكرة الموت، وأنها تجيء بالحق، وهو لقاؤه سبحانه، والقدوم عليه، وعرض الروح عليه، والثواب والعقاب الذي تعجل لها قبل القيامة الكبرى"[٣].

وهذا ما ذهب إليه: الزجاج ومكي والواحدي والزمخشري والبغوي وابن عطية والقرطبي وابن جزي والخازن وأبو حيان وابن كثير والجلال المحلي والشوكاني[١].

---

(١) قال النحاس في إعراب القرآن (٤/ ١٥٠): "وصحّ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قرأ:"وجاءت سكرة الحقّ بالموت"، وكذا عن عبد الله بن مسعود رحمة الله عليه".

وانظر: جامع البيان (٢١/ ٤٢٧)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٤٥)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٨٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٠٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٢).

(٣) الفوائد (ص:٩).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٤٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٧٠٤٢)، الوجيز للواحدي (ص:١٠٢٣)، الكشاف (٤/ ٣٨٦)، معالم التنزيل (٧/ ٣٥٩)، المحرر الوجيز (٥/ ١٦١)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٠٢)، لباب التأويل (٤/ ١٨٨)، البحر المحيط (٩/ ٥٣٤)، تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٩)، تفسير الجلالين (ص:٦٩٠)، فتح القدير (٥/ ٨٩).

وهذا القول هو الراجح -إن شاء الله تعالىٰ- إذ فيه المحافظة علىٰ نظم القرآن الكريم، وإبقاء الكلام علىٰ سياقه، مع وضوح المعنىٰ وبيانه، فلا غرو أن ذهب إليه من ذكرنا، وهم عمد أهل التفسير.

الموضع الحادي والعشرون: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ (الحاقة:٣٢).

موضع القلب عند من رآه ﴿ فَاسْلُكُوهُ ﴾ قالوا: جاءت علىٰ القلب، والمعنىٰ: اسلكوا فيه السلسلة؛ ومعنىٰ اسلكوا: ادخلوا؛ فالسلسلة هي التي تدخل فيه، لا أنه هو الداخل فيها.

وإنما قيل ذلك: لمعرفة السامعين معناه، وأنَّه لا يشكل علىٰ سامعه ما أراد قائله.

وعلىٰ هذا المعنىٰ جاءت الروايات عن السلف، قال ابن عباس: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ قال: تسلك في دبره حتىٰ تخرج من منخريه، حتىٰ لا يقوم علىٰ رجليه[1].

وقال مجاهد: بلغني أن السلسلة تدخل من مقعده حتىٰ تخرج من فيه، يوثق بها بعد أو من فيه حتىٰ تخرج من معدته[2].

وعن الضحاك: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ قال: السلك: أن تدخل السلسلة في فيه، وتخرج من دبره[3].

قال الآلوسي: "ومن هنا قيل: إنَّ في الآية قلبـًا، والأصل: فاسلكوها فيه"[1].

وإلىٰ هذا القول ذهب جمع من المفسرين، منهم: الفراء والسمعاني والقرطبي والجلال المحلي[2].

ويناقش هذا القول بأنه خلاف الأصل، وكون السلسلة هي التي تدخل بناء علىٰ

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٣/ ٢٣٨) والبيهقي في البعث والنشور (ص:٣٠٠).
(٢) عزاه في الدر المنثور (٨/ ٢٧٤) إلىٰ ابن المنذر.
(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٣/ ٢٣٩).
(١) روح المعاني (١٥/ ٥٦).
(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٨٢)، تفسير السمعاني (٦/ ٤١)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٧٢)، تفسير الجلالين (ص:٧٦٣).

ما عرفناه في الدنيا، وأما في الآخرة فالأمر مختلف، ولا نعلم عن هذه السلسلة التي ذكرها الله جل شأنه، غير أنها سلسلة عظيمة ذرعها سبعون ذراعًا، ولا يبعد أن يسلك فيها الكافر، ويدخل، كما هو ظاهر الآية الكريمة.

وإلىٰ هذا ذهب الجمهور[١].

ولهذا قال أبو حيان منتقدا القول بالقلب: "ولا ضرورة تدعو إلىٰ إخراج الكلام عن ظاهره، إلا إنَّ دلَّ الدليل الصحيح علىٰ خلافه"[٢].

وممن ذهب إلىٰ هذا الطبري، وأشار إلىٰ تضعيف القول السابق، فقال:

" يقول: ثم اسلكوه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا، بذراعٍ الله أعلم بقدر طولها.

وقيل: إنها تدخل في دبره، ثم تخرج من منخريه.

وقال بعضهم: تدخل في فيه، وتخرج من دبره"[٣].

ومن هؤلاء الجمهور الذين اختاروا هذا القول:

السمرقندي والبغوي وابن عطية وابن الجوزي والرازي والبيضاوي وابن جزي والخازن وأبو حيان والسمين الحلبي وأبو السعود والآلوسي[٤].

وقد نصَّ بعض المفسرين كالرازي والبيضاوي والسمين الحلبي وغيرهم علىٰ أنَّ السلسلة لطولها تُجْعَلُ في عنقِه وتَلْتَوي عليه، حتىٰ تحيطَ به من جميع جهاته، فهو المسلوك فيها لإحاطتها به.

ولسنا بحاجة إلىٰ مثل هذا؛ لأنَّ هذا من الغيب الذي لا نقطع به إلا ببينة من الله تعالىٰ وبرهان، وقصارىٰ ما أخبرنا به ربنا تبارك وتعالىٰ أنَّ الكافر ينظم في تلك السلسلة ولا مانع يمنع من ذلك، فلنقف علىٰ ما أوقفنا الله تبارك وتعالىٰ، ثم ننتهي ونُسَلِّم.

---

(١) قال الآلوسي في روح المعاني (١٥/ ٥٧): "والجمهور علىٰ الظاهر".

(٢) البحر المحيط (١٠/ ٢٦٢)، وانظر: الدر المصون (١٠/ ٤٣٦)، روح المعاني (١٥/ ٥٦).

(٣) جامع البيان (٢٣/ ٢٣٧).

(٤) انظر: بحر العلوم (٣/ ٤٩١)، معالم التنزيل (٨/ ٢١٢)، المحرر الوجيز (٥/ ٣٦١)، زاد المسير (٤/ ٣٣٢)، مفاتيح الغيب (٣٠/ ٦٣١)، أنوار التنزيل (٥/ ٢٤٢)،التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٠٧)، لباب التأويل (٤/ ٣٣٦)، البحر المحيط (١٠/ ٢٦٢)،الدر المصون (١٠/ ٤٣٦)، إرشاد العقل السليم (٩/ ٢٦)، روح المعاني (١٥/ ٥٦).

فالقول الراجح في الآية الكريمة: أن الكافر هو الذي يسلك في السلسلة، كما هو ظاهر الآية الكريمة، ولا يخفىٰ أن الأخذ بالظاهر من النص هو المقدم عند أهل العلم، وأيضـًا: القول بالقلب خلاف الأصل، فلا يصار إليه بلا بينة ولا برهان.

الموضع الثاني والعشرون: قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (العاديات:٨).

ذكر بعض المفسرين أنَّ هذه الآية جاءت علىٰ القلب، وأنَّ معناها: وإن حبّه للخير لشديد.

ففي الآية الموصوف بالشدة الإنسان، بينما علىٰ هذا القول يكون الموصوف بالشدة حب الخير، لا الإنسان.

ويكون المراد بالشدة علىٰ هذا القول: القوة لا غير.

ولم أر من ذهب إلىٰ هذا القول صريحـًا، إلا ما نسب إلىٰ قطرب[1] من اختياره له[2].

ويشبه هذا القول ما ذهب إليه الفراء من أن المعنىٰ: وَإِنَّهُ لِلْخير لشديد الحب، حيث جامع القول المذكور في أنَّ الوصف للحب، لكنه قال:

كأن الكلمة لما تقدم فيها الحب، -وكان موضعه أن يضاف إِلَيْه شديد- حذف الحب من آخره؛ لما جرىٰ ذكره فِي أوله، ولرؤوس الآيات"[1].

فهو يرىٰ صريحـًا أنَّ وصف الشدة متجهٌ للحب، لكن لا أستطيع نسبة القول بالقلب له – وإن كنت لا أبعد هذا– فإنه ذكر الحذف في الآية، والتقدير: وإنَّه لحب الخير لشديد الحب، فهذا يبعد نسبة القول بالقلب للفراء رحمه الله.

(١) محمد بن المستنير بن أحمد أبو علي، أحد أئمة النحو واللغة، أخذ النحو عن سيبويه وجماعة من علماء البصرة، وكان علىٰ معتقد النظام المعتزلي، سمي قطربـًا؛ لأنه كان يبكر إلىٰ سيبويه للأخذ عنه، فإذا خرج سيبويه سحراً رآه علىٰ بابه، فقال له يوما: ما أنت إلا قطرب ليل، والقطرب دويبة تدبّ ولا تفتر، وكان متهمـًا في رأيه وروايته عن العرب، توفي ببغداد، سنة ست ومائتين.
انظر: معجم الأدباء(٦/ ٢٦٤٦)، إنباه الرواة (٣/ ٢١٩)، لسان الميزان (٧/ ٥٠٢).

(٢) نسبه لقطرب: الرازي في تفسيره (٣٢/ ٢٦٢) والنيسابوري في غرائب القرآن (٦/ ٥٥١)، والآلوسي في روح المعاني (١٥/ ٤٤٥).

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٨٥).

وعلىٰ كلٍ، فالقول بالقلب منتقد بما ذكر مراراً من أنَّ القلب خلاف الأصل، فلا يصار إليه إلا بدليل.

وكذا ينتقد ما ذهب إليه الفراء بأن التقدير لا يلجأ إليه إلا بدليل، ولا دليل ههنا.

وأما جُلُّ المفسرين- إن لم نقل جميعهم- فقد ذهبوا إلىٰ أنَّ الآية علىٰ نسقها، فلا قلب فيها، فقالوا: الوصف بالشدة للإنسان، والخير ههنا المال، في قول الجميع[1]، لكنهم اختلفوا في معنىٰ الشديد ههنا علىٰ قولين اثنين، هما: الأول: أنَّ الشديد: البخيل، واللام في قوله تعالىٰ: ﴿ لِحُبِّ ﴾لام التعليل، والمعنىٰ: إنَّه لأجل حب المال لبخيل.

وقد جاء هذا المعنىٰ في لسان العرب، وشاهده قول طرفة:

أرىٰ الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدّد[2].

واختار هذا القول جمع من أهل العلم، قال الواحدي: (وهذا معنىٰ قول المفسرين)[1].

وممن ذهب إليه:أبو عبيدة وابن قتيبة والزجاج وابن أبي زمنين والواحدي والسمعاني والبغوي وابن عطية والخازن والجلال المحلي وابن عاشور[2].

والثاني: أن معنىٰ الشديد القوي، أي: إنه لحب المال قوي مطيق.

---

(١) قال الواحدي في التفسير البسيط (٢٤/ ٢٥٤): "الخير: المال هَاهنا في قول الجميع".
وقال قتادة: الخير من حيث وقع في القرآن هو المال.البحر المحيط (١٠/ ٥٣٠).
وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٥١٥): "والْخَيْرُ المال علىٰ عرف ذلك في كتاب الله تعالىٰ، قال عكرمة: الْخَيْرُ حيث وقع في القرآن فهو المال".
وانظر: كليات الألفاظ في التفسير(١/ ٢٩٧).

(٢) البيت في ديوان طرفة بن العبد (ص: ٢٦)، وانظر: تهذيب اللغة (٤/ ١١٢)، الصحاح (٣/ ١٠١٤)، مقاييس اللغة (٣/ ١٧٩)، لسان العرب (٣/ ٢٣٤).

(١) التفسير البسيط (٢٤/ ٢٥٦).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٣٠٧)، غريب القرآن (ص:٤٦٦)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٥٤)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥/ ١٥٥)، الوجيز للواحدي (ص:١٢٢٦)، تفسير السمعاني (٦/ ٢٧١)، معالم التنزيل (٨/ ٥٠٩)، المحرر الوجيز (٥/ ٥١٥)، لباب التأويل (٤/ ٤٦١)، تفسير الجلالين (ص:٨١٨)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٠٥).

وهذا المعنىٰ جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (الفجر: ٢٠).

وقد اختاره القرطبي وابن جزي وأبو السعود والشوكاني والآلوسي والقاسمي[١].

والحق أنَّه لا اختلاف بين القولين، فالبخيل ما بخل إلا لحبه الشديد للمال، كما أنَّ شدة حب المال والتعلق به يلزم منها البخل، ولهذا قال ابن كثير: "وكلاهما صحيح"[٢].

ولعله؛ لأجل هذا لم يذكر ابن الجوزي القول الثاني -علىٰ شهرته- في معنىٰ الآية، بل اكتفىٰ بالقول الأول[٣].

* * *

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٦٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٠٦)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٩١)، فتح القدير (٥/ ٥٨٩)، روح المعاني (١٥/ ٤٤٥)، محاسن التأويل (٩/ ٥٣٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٧).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٨٢).

الخاتمة

في خاتمة بحثي هذا أحمد الله ما ألهم ووفق وأعان، وأسأله التجاوز عن التقصير والتفريط، إنه سميع قريب، ولعل من أبرز ما يمكن تدوينه في خاتمة هذا البحث ما يلي:

١) أسلوب القلب أسلوب عربي علىٰ الراجح من أقوال أهل العلم، كما يدل علىٰ هذا أشعار العرب ومنثور كلامهم وأمثالهم، كما أثبته الأمناء في العربية وعلماؤها.

٢) ينقسم القلب في العربية إلىٰ ثلاثة أقسام.

٣) يثبت أغلب المفسرين القلب في كتاب الله تعالىٰ، ويأتي علىٰ رأس هؤلاء شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري.

٤) الأصل الذي سار عليه جل المفسرين في التعامل مع القول بالقلب هو أنه خلاف الأصل، فلا يصار إلىٰ القول بالقلب إلا إذا دعت الحاجة، وقامت البينة.

٥) كان عدد المواضع التي قيل فيها بالقلب في كتاب الله تعالىٰ اثنين وعشرين موضعًا.

٦) ترجح لدي من هذه المواضع موضعان فقط.

٧) اتضح من خلال البحث أنَّ بعض المفسرين متوسع في القول بالقلب، فهو يطلقه في كتاب الله تعالىٰ من دون ما دليل.

٨) كان علىٰ ضد هؤلاء ما نهجه بعض المفسرين من رفض القول بالقلب مطلقًا كأبي حيان والسمين الحلبي.

هذا ما أمكن تدوينه كأبرز نتائج لهذا البحث، والله الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل.

* * *

المصادر والمراجع

١) الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، السعودية، ط:الأولىٰ.

٢) أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

٣) أدب الكتاب، أبو بكر محمد بن يحىٰ الصولي، نسخه وعنىٰ بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد بهجة الأثري، ونظر فيه علامة العراق: السيد محمود شكري الآلوسي، المطبعة السلفية – بمصر، المكتبة العربية – ببغداد، ١٣٤١ه.

٤) الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلىٰ محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ- ١٤١٥هـ.

٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، إشراف الشيخ بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد.

٦) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢ م.

٧) إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحنفي، تحقيق:أبو عبد الرحمن عادل بن محمد – أبو محمد أسامة ابن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولىٰ،١٤٢٢ه.

٨) أمالي ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري، تحقيق: د.محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ.

٩) الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الشافعي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة.

١٠) البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية،بيروت،١٤٢٢هـ، ط: الأولىٰ، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون.
١١) بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، السعودية، ط الأولىٰ،١٤٢٧هـ.
١٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة – بيروت.
١٣) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٧٦هـ.دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابىٰ الحلبي وشركائه.
١٤) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر، ١٤٢٦ه.
١٥) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادىٰ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ،١٤٢١هـ.
١٦) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د.بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولىٰ،١٤٢٢هـ.
١٧) تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة،ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٨) التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر،تونس١٨٨٤.
١٩) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، ط الأولىٰ، تحقيق عبد الله بن عبد

الرحمن السعد، دار ابن خزيمة،الرياض،١٤١٤هـ.

٢٠) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢١) تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق مجموعة من الباحثين في جامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٠هـ.

٢٣) تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حقق أحاديثه: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط الرابعة،١٤١٧ هـ.

٢٤) تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي دار الفكر، بيروت.

٢٥) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ط الأولىٰ.

٢٦) تفسير الخازن المسمىٰ لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٧) تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢١هـ، ط الأولىٰ.

٢٨) تفسير السمرقندي المسمىٰ بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق د.محمود مطرجي، دار الفكر،بيروت.

٢٩) تفسير القاسمي، تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي، أشرف علىٰ تصحيحه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط الأولىٰ،١٣٧٦هـ.

٣٠) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، للإمام محمد رشيد رضا، دار المنار، ط الثانية، ١٣٦٦هـ.

٣١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، تحقيق أبي عبد الله حسين عكاشة، محمد بن مصطفىٰ الكنز، الناشر الفاروق الحديثة، القاهرة، ط الأولىٰ،١٤٢٣هـ.

٣٢) تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي المعروف بابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب،المكتبة العصرية، صيدا.

٣٣) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٢٠هـ.

٣٤) تفسير القرآن للسمعاني، أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض،السعودية،١٤١٨هـ،ط الأولىٰ.

٣٥) تفسير القرآن للصنعاني، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق د.مصطفىٰ مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ، ط الأولىٰ.

٣٦) تفسير القرآن، اختصار النكت للماوردي، تأليف الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم،بيروت، ١٤١٦هـ، ط الأولىٰ.

٣٧) تفسير النسفىٰ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ت:مروان محمد الشعار، دار النفائس ـ بيروت ٢٠٠٥.

٣٨) تفسير غريب القرآن، للإمام محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار مكتب الهلال، بيروت، ط الأولىٰ، ١٤١٤هـ، مراجعة الشيخ إبراهيم محمد رمضان.

٣٩) تفسير مقاتل بن سليمان الأزدي، تحقيق أحمد فريد دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٤هـ، ط الأولىٰ.

٤٠) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠١م.

٤١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق د.عبد الله التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، ط الأولىٰ.١٤٢٢هـ.

٤٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.

٤٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق:د.عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط الأولىٰ،١٤٢٧هـ.

٤٤) جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، د.قاسم علي سعد، دار البحوث للدراسات الإسلامية، دبي، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.

٤٥) حاشية الشمني علىٰ مغني ابن هشام، تقي الدين أحمد بن محمد الشمني، مطبعة أحمد أفندي، مصر، بدون تحقيق، بدون طبعة.

٤٦) حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت.

٤٧) حاشية شيخ زادة علىٰ تفسير القاضي البيضاوي، مكتبة الحقيقة، ١٩٩٨م.تركيا.

٤٨) الحاشية علىٰ المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٨ه.

٤٩) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: محمد نبيل طريفي/ اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٨م.

٥٠) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ.

٥١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق د.أحمد الخراط،دار القلم، دمشق.

٥٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق د.عبد الله التركي،مركز هجر للبحوث، القاهرة، ط الأولىٰ.

٥٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد، الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
٥٤) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ت: محمود محمد شاكر،مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
٥٥) ديوان طرفة بن العبد، طرفة بن العَبْد بن سفيان البكري الوائلي، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ.
٥٦) رد البهتان عن إعراب آيات من القرآن الكريم، د.يوسف بن خلف العيساوي، ابن الجوزي، ط الأولىٰ، ١٤٣١هـ.
٥٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥ هـ.
٥٨) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ، ط الثالثة.
٥٩) الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، تحقيق:د.حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولىٰ،١٤١٢هـ.
٦٠) سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ،١٤٠٢هـ.
٦١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، صححه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٦٢) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني،

تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٠ هـ.

٦٣) سنن الترمذي، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسىٰ، تحقيق: د.بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.

٦٤) السنن الصغرىٰ للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

٦٥) السنن الكبرىٰ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ.

٦٦) السنن الكبرىٰ، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ.

٦٧) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ.

٦٨) شرح أبيات سيبويه، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، ت: الدكتور محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٣٩٤هـ.

٦٩) شرح الأزهرية، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، المطبعة الكبرىٰ ببولاق، القاهرة.

٧٠) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، نشر محمد علي بيضون، الطبعة الأولىٰ ١٤١٨هـ.

٧١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ.

٧٢) ضرائر الشِّعْر، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٠م.

٧٣) طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن بن عبيد الله الأندلسي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، دار المعارف.

٧٤) طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الإشبيلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف.

٧٥) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشيخ العلامة محمد الأمين ابن محمد المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق:د.خالد السبت، دار عالم الفوائد، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.

٧٦) علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفىٰ المراغي، بدون طبعة، بدون سنة طبع.

٧٧) غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: سعيد اللحام، بدون طبعة، بدون سنة طبع.

٧٨) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

٧٩) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ.

٨٠) الكافي في علوم البلاغة العربية، تأليف: د.عيسىٰ العاكوب، وعلي الشتيوي، الجامعة المفتوحة، ١٩٩٣م.

٨١) الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ه.
٨٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، ابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤١٤ هـ.
٨٣) ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، عناية العلامة عبد العزيز الرجكوتي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٠هـ.
٨٤) ما يجوز للشاعر في الضرورة، محمد بن جعفر القزاز القيرواني أبو عبد الله التميمي، حققه وقدم له: د.رمضان عبد التواب، د.صلاح الدين الهادي، دار العروبة، الكويت،بإشراف دار الفصحىٰ بالقاهرة.
٨٥) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ التيمي البصري، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجىٰ – القاهرة، ١٣٨١هـ.
٨٦) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ، مؤسسة الرسالة،بيروت،١٤٠١هـ.
٨٧) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٨ هـ.
٨٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ- ١٤٢٢هـ.
٨٩) معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، تحقيق، محمد علي الصابوني، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ، ط الأولىٰ.
٩٠) معاني القرآن، للإمام أبي زكريا يحيىٰ بن زياد الفراء، عالم الكتب، ط الثالثة، ١٤٠٣هـ.
٩١) المعاني الكبير في أبيات المعاني، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ.

٩٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٨ هـ.
٩٣) معجم الأدباء=إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ.
٩٤) معجم الصحابة، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨ه.
٩٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ت: د.عبد اللطيف الخطيب، بدون سنة ط.
٩٦) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٩٧) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
٩٨) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي المالكي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، نشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩ هـ.
٩٩) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفىٰ، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٠٠) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار

الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ هـ.
١٠١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه.

❊ ❊ ❊